
روايات مصرية للجيب
2
فانتازيا
حكايات من والاشيا
Looloo
www.helmelarab.net

مقـــدمة

اسمها (عبير) ...

لم يكن لها نصيب من اسمها ... فهى تفتقر إلى الجمال الذى يوحى به الاسم .. إنها سمراء نحيلة بارزة عظام الوجنتين ، باردة الأطراف .. ترتجف رعبًا من أى شئ وكل شئ ...

إنها حتى غير مثقفة .. وبكل المقاييس المعروفة لا تصلح كي تكون بطلتنا .. أو بطلة أى شخص سوانا ..

هى لا تلعب التنس ، ولا تعرف السباحة ، ولا تقود سيارات (الرالى) ، وليست عضوًا فى فريق لمكافحة الجاسوسية ، أو مقاومة التهريب ..

لكن (عبير) ـ برغم ذلك ـ تملك أرق روح عرفتها فى حياتى .. تملك إحساسًا بالجمال ورفقًا بالكائنات .. وتملك مع كل هذا خيالاً يسع المحيط بكل ما فيه ...

لهذا أرى أن (عبير) هى ملكة جمال الأرواح ، إذا وجد لقب كهذا يومًا ما ..

ولهذا أرى أن (عبير) تستحق مكافأة صغيرة ...

ستكون بطلتنا الدائمة .. ولسوف نتعلم معًا كيف نحبها ونخاف عليها ونرتجف فرقًا إذا ما حاق بها مكروه ....

ولأن (عبير) تملك القدرة على الحلم .. ولأنها تختزن فى مقدمة مخها مئات الحكايات المسلية ، وآلاف الأحداث التى خلقها إبداع الأدباء عبر العصور ..

لذلك وقع عليها الاختيار كى ترحل إلى (فانتازيا) ..

(فانتازيا) أرض الأحلام التى لا تنتهى ..

(فانتازيا) حيث كل شئ ممكن .. وكل حلم متاح ..

(فانتازيا) جنة عاشقى الخيال ....

ولسوف نرحل جميعًا مع (عبير) .. سنضع حاجياتنا وهمومنا فى القطار الذاهب إلى (فانتازيا) ..

وهناك سنتعلم كيف نحلم ...

إن صفير القطار يدوى ، والبخار يتصاعد حول قاطرته ..

هو ذا جرس المحطة يدق .. إذن فلنسرع ..!..

لقد حان موعدنا مع الأحلام فى (فانتازيا) ..

★ ★ ★

الجزء الأول

هـى

مقدمة لا بد منها لنعرف كل شىء عن أبطالنا وعاداتهم ومشاكلهم قبل أن يرحلوا إلى (فانتازيا) ..

١ - عودة إلى الواقع ..

ها نحن أولاء نعود إلى أرض الواقع ..

كئيب بعض الشىء .. هذا صحيح .. لكنه آمن ومألوف .. ولا نتوقع فيه أية مفاجآت غير سارة ..

أنت تعرف راحة يدك جيدًا .. وتعرف أنك كلما نظرت إليها وجدتها كما هى : راحة يد .. فإذا افترضنا أنك نظرت إليها الآن ، ووجدت بدلاً منها مخالب ذئب ، أو هالة من النور ، أو سمكة قرش ، فمن المؤكد أنك ستولول هلعًا .. وستتمنى لو أن هبة الخيال قد زالت عنك ؛ لتعود الأمور إلى مألوفها القديم ..

ربما أن مشاعر كهذه قد دارت فى خلد (عبير عبد الرحمن) ، يوم عادت تمارس حياتها السابقة ..

كان مذاق مغامرتها القصيرة التى لم تكتمل قط مع (هولمز) و (بوارو) عالقًا بلسانها .. بعد لم تنس عبق الطباق القوى الذى يدخنه (هولمز) ، ولا البارفان الفرنسى الثمين الذى يضمخ به (بوارو) طرفى شاربه .. ولا لغته الإنجليزية المضحكة .

لم تنس صوت (سوستة) القلم فى يد المرشد ،

ولا هدير القطار الصغير الذى عبر بها (فانتازيا) ..
لقد حدث لها هذا كله .. وهى تؤمن بأنه كان حقيقيًا ..
لكن أحدا لم يصدقها .. وهى لا تلوم على ذلك سوى نفسها ..
ولكم قضت الساعات فى سجنها الضيق داخل الحارة . ترمق العالم الخارجى .. وتضحك على دعابات لم يقلها أحد .. وتقطب من مواقف خطرة لم تحدث !..
الخلاصة أنها ــ بالنسبة لذويها ــ بدت على شفا الخبال . وكان هذا منطقيًا للغاية .. وكانت تفهمه ..
ومن نافلة القول هنا أن نقول إن سجنها كان كاملا ..
حرمتها الأسرة من الخروج .. من زيارة الصديقات .. من العمل بكل أنواعه ، برغم أن عروضًا مغرية جاءتها من الجيران ..
الوقوف فى مكتبة ؛ لتبيع المساطر والأقلام لطلبة المدارس مقابل سبعين جنيها فى الشهر .. العمل فى محل أزياء جاهزة ، مقابل تسعين جنيها فى الشهر .. ليس هذا فحسب ــ تخيلوا ــ بل إن صاحب المحل يضمن لها أن يقدم اسمها إلى التأمينات الاجتماعية كى تحظى
بتأمين صحى كامل ..
ثمة عرض مسل جاءها من صاحب نادى (فيديو) .. كل ما عليها أن تجلس كالصخرة طيلة اليوم ؛ لتدون أسماء من يقترضون الأفلام ومن يعيدونها .. ويمكنها مشاهدة بعضها على تليفزيون صغير هناك ..
عروض كلها مُغر .. أو ــ حتى لا نتهم بالمبالغة ــ كلها يفوق الوصف ، والفرص المتاحة لفتاة لها مؤهلات (عبير) من القبح والتعليم المتوسط والذكاء المحدود ..
لكن الأسرة رفضت بصرامة .. وكما قالت أمها ــ وهى منهمكة فى تمزيق العلب الورقية القديمة إلى شرائط تصلح لإشعال الموقد توفيرا للثقاب :
ــ أنا لم أعد أضمن أحدا .. أمس قالوا لى : دعيها تعمل فى الكمبيوتر .. ذهبت إلى هناك وعقلها يزن الدنيا وما فيها .. فإذا بابن الـ (...) هذا يعيدها لى فاقدة الرشد .. وحتى حين أفاقت صارت إلى العته أقرب .. كلا !.. ربما يعيدها لى صاحب العمل الجديد جثة هامدة أو أسوأ .. لا يا سيدى .. الله الغنى عن عمل هذه ...
يجب أن نقول هنا إن (عبير) هى الأخرى لم تعد

راغبة فى أن تعمل .. فالعمل كان يعنى المزيد من الواقع الكئيب الذى تحاول الهرب منه طيلة الوقت ..

كانت تعرف أنها خُلقت لعالم آخر .. عالم له مقاييس أخرى غير هذا العالم .. ولقد وجدت ضالتها يوم ارتحلت إلى (فانتازيا) .. يقولون إنها كادت تهلك .. يقولون إنها كانت فى غيبوبة .. ولكنها هى نفسها لم تخف ولم تجزع .. وها هى ذى اليوم سالمة تماما .. فلماذا لا تعيد التجربة ؟

* * *

أين ذهب (شريف) ؟..

هى لم تره منذ أعادها إلى دار أسرتها ، وكاد أخوها يفتك به ، لولا أن فرحة نجاتها تكفلت بتسوية الحسابات . وعرفت أن أهلها قد قلبوا الدنيا فوق رأس (شريف) ، ذلك البائس .. وأن الحادث نشر فى صحف عديدة .. لكن غرابته كانت تجعل شيئا من عدم التصديق يحوم حوله .. وتكفلت آراء الأساتذة الأطباء ـ الذين يقضون حياتهم فى الإدلاء بآرائهم للصحف ـ بإضاعة الحقيقة تماما ، باعتبار ما حدث نوعا من التهاب المخ .. أو غيبوبة سكر .. أو تصلب منتشر ..

لهذا كله لم يلق (شريف) عقابا معينا .. لكنه اختفى .. اختفى تماما وهى فى أشد الحاجة إليه ..

لأنها تحب (فانتازيا) .. ولأنها..... تحبه ...

* * *

وجاء العريس المرتقب ..

اسمه (سعيد) .. عائد لتوه من (الأردن) أو (العراق) لا تذكر بالضبط ..

تخرج فى أحد هذه المعاهد التى لا يمكنك تذكر اسمها والتى لا مستقبل لها على الإطلاق ، وهو يعمل أساسا فى تجارة الأدوات الصحية مع أخيها .. وأحيانا (يتسلى) بممارسة السباكة ، حبه الأول والأخير على حد قوله ..

فظ هو .. له شارب كث ، يعتقد أنه فاتن .. ويتكلم بلغة (الصنايعية) برغم أنه متعلم ، ويطفئ أعقاب السجائر على البلاط .. ويبصق كثيرا فى منديل (محلاوى) عملاق ، خيل إليها أن هذا هو كفنها نفسه .. ويطيل ظفرى إصبعيه البنصر ..

وكان يملك شقة من حجرة وصالة فى حارة مجاورة .. وقد اتفق على (النابوليا) مع أحد النجارين فى الحى ؛ لأنه ـ كما قال ـ يحب (النابوليا) الثقيلة المليئة (بالأويما) ..

- « الخشب الجيد يا (تانت) » - يقول لأمها - هو أهم شىء ..!

وفى ذعر تأملت (عبير) الموقف ..

واضح أن الكل متحمس لهـذا العريس الجاهز .. والكل يؤمن بأن هذه أفضل فرصة ممكنة لها ..

وهى تعرف أنها لن تقاوم كثيرا ..

منذ الطفولة تعلمت ألا تقاوم ما يُراد بها .. إن حياتها تتلخص فى أنهم (جعلوها فانجعلت).. ومعنى هذا أنها ستصحو يوما لتجد نفسها عند الكوافير الذى فى أول الحارة ، يلطخ وجهها بالمساحيق الرخيصة ، ويثبت لها الطرحة على القستان الردىء ، الذى استأجرته بعشرين جنيها .. ثم تزغرد النسوة وكل واحدة منهن تضع رضيعا على كتفها .. وتبدأ الطبول تدق بأيدى (صياع) الحارة ..

ويتقدم فارسها منها ، مرتديا بدلة لونها سكرى قبيح ، وهو يجفف عرقه بمنديل (محلاوى) عملاق .. على حين يرسل (الفيديو) - بالفاء - إضاءة حارقة على الوجوه ، والزغاريد المسعورة .. وصديقاتها يقبلنها فى افتعال ثم تنهض كل واحدة لتنزع حذاءيها وترقص حافية القدمين بعض الوقت ، محاولة أن تجد لنفسها عريسا آخر بين الموجودين ..

وينتهى كل شىء لتجد نفسها تشارك (سعيد) هذا حياته .. وأحلامه .. وطموحاته .. وكل شىء ..

كيف يمكن أن تعيش مع رجل ، السباكة هى حبه الأول والأخير .. ويؤمن أن الخشب الجيد أهم شىء فى الوجود ؟!..

هى .. هى التى قرأت كل شىء عن (أرسين لوبين) و (هولمز) و (روب روى) و (سوبرمان) و ... و ...

كيف تقحم فى كل هذا ؟.. لماذا لا ينقذها (أدهم صبرى) بطائرة هليوكوبتر تنتزعها من هذا العالم الخانق ؟..

لماذا لا يهرع فرسان (النينجا) بسيوفهم ليأخذوها معهم ؟!.. لماذا .. لماذا .. ؟

- (شريف) ..

همست وهى ترمق الزقاق المظلم متجاهلة الضوضاء خلف ظهرها ..

- أريد العودة إلى (فانتازيا) !

* * *

٢ - رحلة جديدة ..

و (شريف) لم يكن قد تلاشى من الكون ...

المهندس الموهوب (شريف إبراهيم) ، الوسيم كتماثيل الإغريق .. الذكى كفلاسفتهم .. : لم يكن قد ابتعد إلا ريثما يهدأ غبار المعركة ، ويتبين موضع خطا قدميه ..

لقد أحرز نجاحا باهرا .. صحيح أنه نجاح مبتور ، لكن انتزاع النبتة قبل أن تنمو وتزدهر ، لا يعنى أنها فى ظروف أفضل لن تنبت .. وكانت نبتته موشكة على الازدهار ..

* * *

بعد دراسات مدققة استطاع أن يفهم خطأ البرنامج السابق ، الذى كان يدخل الفتاة فى حلقة لانهائية ..

وبعد تطوير الجهاز ليصير أكثر براعة فى الأداء ، قام بتزويده بالشىء الذى كان عليه أن يضعه من البداية :

مكبر صوت !..

نعم مكبر صوت يمكنه اقتحام عالم الكمبيوتر ، الذى

يخلق الأحداث العشوائية . وبالتالى يدخل صوته إلى عالم الحلم ليسهم بالتوجيه إذا كانت هناك معضلة ما تواجه الفتاة ..

إن كل شىء جاهز .. والآن يمكنه أن يطلق على الجهاز اسم (دى - جى - ٢) فهو التطوير الثانى ..

وللذين يتعذر عليهم فهم السياق ، أرجح أنهم لم يطالعوا الكتيب الأول بعد .. لهذا أرجوهم أن يجدوه ويقرءوه لأن السلسلة كلها تقوم على كتفى هذا الكتيب ..

إن كل شىء جاهز .. وأنتم تعرفون ما يعرفه (شريف) ..

والآن يجب العثور على (عبير) ..

* * *

لكن (عبير) قد صارت عسيرة المنال ..

هى لم تعد إلى مكتب الكمبيوتر إياه قط .. ، ولم تتصل به ولا بصديقه .. وبرغم أنه يعرف عنوانها ، فهو لم يعد راغبا فى العودة إلى هناك .. لقد كان أخوها فظا وأوشك أن يفتك به ، فى ذلك اليوم الذى عاد إليهم بها سالمة من الغيبوبة ..

و (شريف) لم يكن ذا باع فى المشاجرة .. وكان يرتج عليه كلما وجد أحدهم يصرخ فى وجهه . فما بالك بمن يريد ضربه ؟

لكنه فى أمسّ الحاجة إلى (عبير) ..
فماذا يفعل ؟

* * *

وهنا لا يفوت كاتب هذه السطور ، أن يلفت نظركم إلى المفارقة فى هذا الموقف .. إن طرفى الصفقة راغبان أشد الرغبة فى إتمامها ، ومع هذا فهى لا تتم .. لأسباب شتى ..

يبدو لى فى اللحظة الحالية أن الوضع مستحيل .. ، لكنى لا أعرف حقًا ما قد تقدمه الحياة من مفاجآت .. وما يبدو مستحيلاً اليوم ، قد يغدو ممكنًا غدًا .. دعونا ننتظر ولا نيئس ..

* * *

لهذا ــ وفى ذلك النهار الدافئ ــ سمع (شريف) قرعات على باب شقته .. ففتحه ..

وفى ضوء المدخل الخافت ، رأى وجهها الشاحب ينظر نحوه فى أمل .. تحاول ألا تقفز وتصفق بيديها فرحا كما هو واضح ..

أحسّ بالحرج .. دعاها إلى الدخول ، وأجلسها فى الصالة ، ثم هرع إلى الحمّام يعيد تمشيط شعره ، ويحكم إغلاق سترته ..

ثم عاد إليها ..

منزوية منطوية على نفسها كيمامة تهشّم جناحها .. جالسة وسط ديكورات المكان الأنيقة المتحذلقة . كأنها ذبابة تقف على مفاتيح كمبيوتر حديث ..

جلس أمامها وحاول أن يبدو رصينا وقال :

ـ كيف عرفت العنوان ؟

هو ذا صوتها المبحوح المألوف يتردد :

ـ من الأستاذ (صفوت) .. كنت عنده الآن ..

ـ وهل يعلمون فى دارك أنك هنا ؟

ـ لا ..

ـ إذن لن أرحب بوجودك دقيقة أخرى ..

نظرت فى عينيه .. وللمرة الأولى رأى تلك القوة الكاسحة فى نظرتها .. هى تعرف كيف تحصل على ما تريد ، ولسوف تحصل عليه ..

يا له من مأزق !.. الحقيقة هى أنه غير راغب ـ وغير قادر ــ على أن يطردها .. ولكن ماذا عساها تقول ؟

ـ أنت لا تفهم .. لقد جئت ها هنا بمعجزة حقيقية ..

ـ تعنين أنك محددة الإقامة بشكل ما ؟

ـ هو كذلك .. إن قرانى بعد شهر من الآن ..

ـ إذن خرجت هذه المرة ضمن المشاوير الكثيرة . التى يكون على العروس المنتظرة أن تقوم بها ..

ـ نعم .. كنت ذاهبة إلى الخياطة ، سمحوا لى بالذهاب وحدى . لأن الجميع مشغول ..

نظر لها هنيهة متسائلا فى سره عن شعورها تجاه الزيجة المنتظرة .. لا تبدو طائرة من الفرح .. لكنه قرر أن يطلق طلقة اختبار ليعرف رد فعلها تجاه عريسها القادم :

ـ مبروك !

وكانت النتيجة مذهلة ..

انفجرت الفتاة باكية .. كل هذا الماء يسيل من عينيها وأنفها وفمها الذى نسيت أن تغلقه .. يا لك من حمقاء تماما !.. إن بكاء امرأة أمامك لشبيه بانفجار صنبور المياه فى الحمام ..

محاولات تعسة خرقاء منك لوقف هذا السيل . الذى يوشك أن يجرف كل شىء .. كل شىء ..

ـ آنسة (عبير) !

قدم لها منديله .. ثم هرع إلى المطبخ فجلب لها كوبا من الماء البارد ... وحين عاد إليها كان قد عرف إجابة سؤاله ..



هو ذا صوتها المبحوح المألوف يتردد :

يجب الآن أن يكون حذرا ، فالجزء التالى من المعضلة قد يكون واحدا من ثلاثة افتراضات :

١ ــ الفتاة تحبه هو : وهذه كارثة .. وكما قال (ستيفن زفايج) على لسان أحد أبطاله : « الذباب فقط هم من يسعدون بحب امرأة لا يحبونها .. إن حب امرأة ليس نصرا ، بل هو كارثة حقيقية .. جبل من المسئولية عليك أن تزيحه عنك دون أن تدميها ، أو تبدى فظاظة .. »

و (شريف) لم يكن ذئبا .. لهذا ــ حتما ــ سيجعله حبها تعسا ..

٢ ــ الفتاة لا تحب أحدا بالذات .. هى فقط تمقت عريسها القادم .. ، وفى هذه الحالة ماذا تريد من (شريف) بالضبط ؟..

هو لا يذكر أنه يحرر بابا باسم (طبيب القلوب) أو (لمشكلتك حل) فى أية مجلة .. ومن الغباء أن تفترض أنه يملك حلاً لورطتها ..

٣ــ الفتاة تحب (فانتازيا) : وهذا هو أقرب الاحتمالات للصواب .. وهذا هو ما يرجوه بالضبط ..

إن (شريف) يتمتع بعقلية تحليلية بارعة .. كأنما يخطط أحد برامج الكمبيوتر بأسلوب (الشفرة المزيفة) ..

لكن احتمالا رابعا فاته .. هو أن تكون الاحتمالات الثلاثة الأولى صائبة جميعا .. ! وأنا أرى أن هذا هو الأقرب إلى الصواب ..

* * *

وهكذا ..

وبعد جهد جهيد استطاع أن يفهم أن الفتاة تعانى حالة عدم قبول مزمنة لعالمها وواقعها .. هى غير راغبة فى التورط أكثر فى هذا الواقع المرير الذى لا يتغير ..

قال لها فى صبر :

ــ ليكن يا (عبير) .. لنقل إننى أعدتك إلى (فانتازيا) ..

أنت الآن تعرفين أن هذا سيتم لمدة ساعتين أو ثلاث .. بعدها تعودين إلى ذات الواقع ..

ــ أعرف .. لكن ذكرى هاتين الساعتين ستعطينى القدرة على تحمل أسابيع أخرى من الشقاء ..

نظر لها حائرا ولم يدر ما يقول ..

للمرة الأولى يرى الجانب الأخلاقى من الموضوع ..

الهرب من الواقع .. هذا هو ما يقدمه ..

نفس الشىء يقدمه بائع الخمور وتاجر الحشيش ..

وهو - إذ يرى (عبير) بجفنيها المتقرحين ونهفتها - يشعر كأنها مدمنة مخدرات . جاءته طالبة جرعة (الماكس) اليومية ..

كان القرار عسيرا ..

وأدرك أنه عاجز عن تقييم نفسه : أصائب أم مخطئ .. أحسن أم سيئ ..

لكن (عبير) قالت كأنما تقرأ خواطره :

- إن (فانتازيا) ليست مجرد خزعبلات .. إنها عالم خالص فذ . خلقته عبقرية الأدباء عبر التاريخ ..

ونظرت له في ثبات وأردفت :

- أرجوك !

في تردد غمغم :

- ليكن .. لكنها المرة الأخيرة ..

- أنت تعرف أنها لن تكون المرة الأخيرة .. أنت بدأت شيئا وتريد رؤية تمامه .. وكذلك أنا ..

* * *

كان الكمبيوتران موضوعين على مكتب صغير في الحجرة التي يستخدمها لأبحاثه . والفوضى ضاربة أطنابها في كل مكان ..

عشرات الأسلاك والمعدات .. دوائر متكاملة منقاة

على الأرض .. أوراق ممزقة .. قوابس .. مقاومات .. وعشرات من أكياس حلوى النعناع الفارغة ..

وكان رسام المخ موضوعا على منضدة صغيرة . بينما جهاز (الديجيتايزر) فوق مقعد خشبي ..

قال وهو يعينها على الجلوس :

- لقد قمت بإجراء تطويرات عدة ستعرفينها في حينها .. إلا أن هناك نقطة يهمني أن تلمي بها ..

نظرت له وقد اتسعت عيناها شغفا .. فأضاف :

- في عالم الهلاوس يكون وجدانك ونظامك الطرفي مندمجا بالكامل في الهلوسة .. والنظام الطرفي له سيطرة كاملة على (المهاد التحتي) و (النخاع المستطيل) .. هل تفهمين هذا ؟

- ولا حرف !

ابتلع ريقه وقطب محاولا العثور على صيغة أسهل :

- حسن .. لنقل إن الهلوسة سيكون لها أثر عنيف على ضربات قلبك وضغط دمك وخلافه .. وإنه لو حدث أن هلكت في أثناء الحلم ...

واتسعت عيناه ونظر إليها :

- ستهلكين في الواقع في نفس اللحظة !

- ولماذا ؟

- لأن قلبك سيتوقف من الصدمة العصبية .. وهو ما قد يحدث لضعاف القلوب . إذا ما رأوا كابوسا ، لهذا عليك أن تحتاطي وتحافظي على حياتك قدر الإمكان .. وأنا سأتصل بك لأعطيك رأيي في المواقف العسيرة ..

تساءلت وهي تترك له رأسها يثبت عليه الأقطاب :

- ولماذا تقحم نفسك في هذه المخاطرة إذن ؟..

ابتسم ابتسامة لم ترها ولم يقل شيئا ..

كان راغبا في استكمال التجربة .. ولولا أنها ليست له - التجربة - لكان أول من يثبت هذه الأقطاب حول رأسه هو ..

على كل حال ...

ضغط مفتاح الإدخال في جهاز الكمبيوتر ..

وبدأت (عبير) رحلتها الثانية ..

إلى (فانتازيا) .....

.....

٢ - القلعة ..

في هذه المرة كان الانتقال أكثر سلامة ونعومة ..

لم تغرق (عبير) في قيء الذكريات الذي وجدت نفسها فيه أول مرة ..

ولكنها رأت ظلاما دامسا يسطع فيه ضياء بلوري خافت بلون الكهرمان ..

وفي قلب هذا الضياء كانت ترى لقطات منفصلة سريعة من حياتها السابقة .. خطر لها في هذه اللحظة مدى التشابه الذي كتبوا عنه كثيرًا ما بين الحلم والسينما .. الظلام في السينما هو ذاته ظلام النوم ..

ثم تتهادى الرؤى على الشاشة الفضية للسينما ، أو تلك الشاشة الوهمية التي يخلقها العقل الباطن في الحلم ..

خطر لها كذلك أن ما تراه ربما يكون شبيهًا بما يراه المحتضرون .. حين يدور شريط حياتهم كاملا أمامهم ، في زعم الزاعمين طبعًا .. الفارق هنا هو أن المحتضر لن يعود ليحكي ما رآه .. أما هي فتعرف أنها ستحكي كل حرف لـ (شريف) حين تعود .. ولماذا تحكي ؟..

لا بد أن (شريف) جالس يراقب كل هذه الأحداث الآن ..

* * *

لكن الوضع بالنسبة لـ (شريف) كان مختلفا بعض الشيء .. فالصور على شاشة الكمبيوتر العارض كانت تتحرك بسرعة لا تصدق . ويستحيل على العين البشرية أن تستخلص منها سوى بضع بقع سوداء وبيضاء تتواثب أمامها ..

لهذا كان عليه أن يستخدم برنامجا خاصا ، يقوم بتحليل الصور وتفكيكها إلى لقطات تعرض بسرعة ثمانى لقطات فى الثانية . على شاشة كمبيوتر ثالث ..

وهكذا يستطيع أن يرى الأحداث بسرعة معقولة ، وفى ذات الزمن الفعلى للحلم ..

وسرّ هذه السرعة منطقى جدًا .. إن الفتاة ستحلم لمدة نصف ساعة أو ساعة .. لكن أحداث حلمها تستغرق أياما .. ربما أعواما .. (فالزمن لا وجود له فى العقل الباطن) كما قال سيد مفسرى الأحلام (سيجموند فرويد) يوما ما .. ومعنى هذا أن ما تراه مضغوط إلى حدّ لا يصدق . وعليه هو أن يفكك هذا الانضغاط ليتمكن من الرؤية والفهم ..

* * *

مرة أخرى وجدت (عبير) نفسها واقفة على الهضبة إياها ..

وإذ نظرت وراء كتفها . وجدت (المرشد) ممسكا بقلمه الشهير ذى (السوستة) . يداعبه بإبهامه بذات الطريقة المستفزة ..

تك !.. تتك !.. تك !.. تتك !..

ـ مرحبا بك يا صغيرتى .. لقد هربت منا فى المرة السابقة دون مبرر فى الواقع ..

أشرق وجهها إذ رأته وهتفت :

ـ كنت مجبرة على ذلك .. صدقنى !

ـ لا عليك .. والآن هيا بنا .. القطار ينتظرك ..

وتأبط ذراعها فى رفق واتجه بها إلى القطار الصغير الواقف على القضيب يهدر ..

وبدأ القطار يتحرك وسط مشاهد غريبة لم ترها من قبل .. قالت له وأنفاسها تنقطع انبهارا :

ـ لم أر هذا الجزء فى الرحلة السابقة ..

ـ هذا طبيعى .. إن (فانتازيا) لا تبقى على حال .. فى الواقع فقط يمكنك أن تقسمى أن (طوخ) تقع ما بين (بنها) و (قليوب) .. وأن (عين شمس) تقع جوار (المطرية) .. أما فى عالم الخيال فلا توجد حقائق

مؤكدة .. كل شىء يتغير .. ولو أن الخيال اكتسب جمود وثبات الواقع لما صار خيالا ..

كادت تصفق بكفيها طربا قائلة له (أعد) ..

ثم سألته دون أن تبعد عينيها عن الطريق :

ـ ما هى مغامرة اليوم ؟

ـ أنت صاحبة القرار ..

ـ لقد غادرت عالم (هولمز) و (بوارو) قبل أن أعرف لماذا قتل الخادم سيده اللورد .. فلو أننى عدت إلى هناك لـ ...

هز كفه بحركة توحى بالسأم .. وقال :

ـ دعك من هذا .. إن التفاصيل لا تتكرر هنا .. ولو أنك عدت لوجدت قصة جديدة تماما .. لا أحد يهتم بالتفاصيل فى (فانتازيا) ..

المهم هو الجو العام ..

كان القطار يمشى بين الثلوج .. وثمة مرتفعات جليدية شاهقة يتحرك عليها شخص ما ، يطارده شىء مشعر عملاق .. تساءلت :

ـ ما هذا ؟

ـ أوه .. إنه عالم الثلوج ـ ثلوج (إفرست) أو الثلوج القطبية لا يهم ـ حيث يمكنك أن تقابلى رجل

الثلوج (الياتى) .. أو تعيشى مع كابتن (بيرد) أو اى شىء آخر ..

وخرج القطار من هذا المكان الجليدى ـ غير البارد برغم هذا ـ إلى شاطئ بحر يتناثر رذاذ أمواجه كلما تحركت الريح .. وعلى مرمى البصر كان شىء ما يتحرك ..

ـ هذا هو عالم البحار ، حيث تجدين القبطان (إشاب) يبحث عن الحوت (موبى ديك) الذى التهم ساقه .. وتجدين العجوز يصارع البحر فى قاربه العتيق .. وتجدين سمكة القرش البيضاء العظيمة فى قصة (الفك المفترس) .. وعشرات من سفن القراصنة والباحثين عن كنوز تركها هؤلاء القراصنة ..

وداعب القلم بإصبعه .. تك !.. تتك !.. تك !..

ـ ما رأيك فى النزول هنا ؟

ـ أفضل الانتقال لاحتمال آخر ..

* * *

ومن بعيد رأت غابات مظلمة تتلألأ أشجارها فى ضوء قمر خافت .. وفى نهاية ممر الأشجار . رأت مرتفعات يبدو منها قصر كئيب المنظر .. جاثم كالوحش فى الظلام ..

خيل لها أنها تذكر هذا المكان . حتما هي رأته في الرحلة السابقة . فماذا كان ؟..

سألت (المرشد) فأجابها وهو يبتسم :

ـ هذه هي (ترانسلفانيا) في (رومانيا) .. وهذا هو قصر (فلاد) من (والاشيا) ..

ـ (فلاد) ؟.. لا أذكر أنني قرأت شيئا كـ ...

ـ بل قرأت بالتأكيد لكنك نسيت .. (فلاد الوالاشي) هو اسم من أسماء الكونت (دراكيولا) .. أعني أنه الاسم الأصلي له قبل أن يدعوه مواطنوه (الشيطاني) أي (دراكيولا) باللغة الرومانية .

لابد أنك قرأت هذه المعلومة يوما ، وظلت في ذاكرتك .. وإلا ما كان ممكنا أن تضعيها في حلم ..

ـ « فهمت » ..

قالتها في انبهار .. وشرعت ترمق الجو الشبيه بكابوس ملون ..

كانت ـ ككل أصحاب الخيال المرهف ـ تحب أن تخاف .. تخاف في فراشها تحت الأغطية آمنة من كل شر ..

لهذا لم تقاوم كثيرا ..

وبهدوء قالت للمرشد :



وفي نهاية ممر الأشجار ، رأت مرتفعات يبدو منها قصر كئيب المنظر ..

- إذن أنزلني هنا ..
- إن أحلامك أوامر يا جميلتي ..
قالها وشد حبلا صغيرا متدليا من السقف ، فتوقف القطار بنعومة بين الغابات المظلمة .. وبرقة ساعدها على النزول .. ونزل خلفها .. ثم قادها بين الأشجار ، إلى موضع عند قمة طريق ممهد ..
- من هنا تبدأ مغامرتك ..
نظرت إلى بعيد وتساءلت :
- ولكن .. لا توجد مواصلات ..
ونظرت وراء كتفها لتجد ما توقعته .. لقد تلاشى (المرشد) تماما .. تركها لتعيش مغامرتها كاملة دون توجيهات من جانبه ..
ولكن .. كيف تبدأ ؟...
وقفت ترمق الأفق بعض الوقت ..
ثمة ضوء يتحرك من بعيد .. يدنو بسرعة غير عادية منها ..
واقترب الضوء أكثر ، فأدركت أن هذه عربة مسافرين تجرها أربعة خيول .. والضوء ضوء مصباحين على جانبيها ..
العربة تتوقف على بعد خطوات منها .. والحوذي -

الذي يرتدي ثيابا مزركشة عجيبة - يتأملها وهو يمسك بزجاجة ..
ثم سمعته يسألها :
- إلى أين أنت ذاهبة يا فتاة ؟
فهمت كلماته كأنها اللغة العربية .. لكنها كانت تدرك كذلك أنه تحدث بالرومانية .. وقد اعتادت هذا على كل حال فلم تندهش له .. كما أنها لم تندهش حين جاء الرد حاضرا على شفتيها ..
- أنا ذاهبة إلى المرتفع ، حيث يقود الطريق إلى قلعة الكونت ..
حك الرجل رأسه .. بدا كأنما لا يجد ما يقوله .. ثم هتف :
- نحن ذاهبون إلى (بوكوفينا) .. وسنمر بالنقطة التي تريدينها ..
ولكن هل أنت حقًا راغبة في ذلك ؟
كان محتمًا أن تقول نعم .. فلو لم تقلها لما كانت هناك مغامرة أصلًا ..
وهي تعرف من القصة أن الجميع سينذرها ويحاول دفعها للبقاء معهم ، والذهاب إلى (بوكوفينا) ..
- أنا أرغب في ذلك !

ـ إذن اركبي ..
وصعدت (عبير) إلى داخل العربة المظلم ..
ولم يفتها ـ حين تأملت طرف ثوبها ـ أن تدرك أنها ترتدي ثيابا غريبة .. هي أقرب لثياب تلك الفرقة الشعبية المجرية ، التي رأتها في التليفزيون منذ شهرين .
وأدركت أن (دي ـ جي ـ ٢) قد زودها بالثياب الملائمة للقصة كعهده دائما .. شكرا لك أيها الجهاز الأمين ..
شرعت تتأمل الجالسين حولها في العربة .. بعض الرجال المتأنقين الذين بدا عليهم القلق لسبب لا تدريه ، وامرأتين ترخيان قبعتيهما على وجهيهما .. كان الظلام داخل العربة دامسا ، إلا من انعكاسات غامضة من المصباحين المعلقين بالخارج .. ولا صوت هنالك سوى قرقعة حوافر الخيول فوق الأرض .. ، لكنها أدركت دون جهد أن كل من بالعربة يتأملها في فضول ..
بعد وقت ليس بالقصير ، شعرت بالعربة تتوقف ..
وسمعت الحوذي يصيح مناديا إياها :
ـ وصلنا يا فتاة .. هيا انزلي ..
غادرت (عبير) العربة .. واتجهت نحو السائق ..

كان في يدها الآن كيس نقود لم تدر من أين جاء .. لكنها مدت يدها فيه . تريد أن تنقده أجره .. لكنه صاح :
ـ لا أريد مالا .. فقط اذكرينا بالخير عند من أنت ذاهبة إليه ..
ورسم علامة الصليب على صدره ، وأردف :
ـ ولكن .. هل أنت حقا غير راغبة في البقاء معنا .. ؟ بحق جميع القديسين أرجوك أن تفعلي .. اذهبي إلى (بوكوفينا) معنا .. ليس لدى الكونت ما يثير شغف فتاة شابة مثلك ..
ثم بصق على الأرض وجرع جرعة من الزجاجة :
ـ يا للشيطان !.. إنه لخمر رديء .. هيا يا حلوتي .. تعالي معنا إلى حيث الأمان .. إن .....
وكف عن الكلام حين رأى العربة السوداء بجيادها السود واقفة في الظلام ، على بعد أمتار من عربته ..
متى جاءت هذه العربة ؟.. لم تلحظ (عبير) ذلك .. ولا السائق على ما يبدو ..
وسمعت صوتا باردا قاسيا يأتي من حوذي العربة السوداء :
ـ إنك تتكلم كثيرا يا رجل .. إن الآنسة لعلى عجلة ..

لم يفه الحوذى الأول بكلمة .. جذب أعنة خيوله . فانطلقت عربته لا تلوى على شىء وذابت فى الظلام ..

وللمرة الأولى شعرت (عبير) بالرهبة ..

قشعريرة باردة تمشت فى عمودها الفقرى ، حين ألفت نفسها واقفة وحيدة بين هذه الغابات المظلمة . أمام تلك العربة السوداء ـ كعربات الجنائز ـ وسائقها الذى لم تتبين وجهه . لكنها لم ترغب فى ذلك قط ..

متى ينتهى هذا الحلم الغريب ؟..

للأسف لا توجد طريقة معينة لذلك .. ولن ينتهى إلا حين يوقف (شريف) عمل الجهاز ، أو يرى (المرشد) أنها نالت كفايتها من هذه المغامرة ..

تذكرت موقفا مشابها فى طفولتها ، حين أخذها خالها الشاب الطائش إلى السينما .. جلس بجانبها بعض الوقت ، ثم طلب منها أن تظل فى مكانها ولا تتحرك حتى يعود لها ؛ لأن لديه شيئا يجب أن يقوم به ..

وهكذا جلست فى السينما وحيدة ــ وهى طفلة فى السابعة من عمرها ــ تشاهد فيلما فيه كثير من الخيول .. وطلقات الرصاص .. ورجال يحملون فئوسا .. و ...

فجأة لم تعد تريد المزيد .. تريد العودة لدارها .. لكن

كيف ؟.. لقد ذهب خالها ولم يعد بعد .. هى لا تعرف كيف تغادر هذا المكان المروع .. هى وحيدة تماما والخلاص هو فى يد خالها وحده ..

شعرت بأن هناك من خذلها .. خالها ..

شرعت تبكى .. لكن البكاء لم يعدها لأمها .. البكاء لم ينه الفيلم .. البكاء لم يجئ بخالها ..

لم يعد هذا الأخرق ، إلا وقد أضيئت الأنوار ، وبدأ الناس يغادرون السينما ....!..

الآن فقط تتذكر هذا الموقف المقيت .. وترتجف ..

يجب أن تظل فى مقعدها بلا حراك حتى يعود خالها هذه هى القاعدة ..

لهذا ـ وفى تؤدة ـ اتجهت للعربة الواقفة كالكابوس بين الأشجار وركبتها ..

سمعت صوت السوط يهوى فوق أعناق الجياد ..

واندفعت العربة فى رحلتها الرهيبة ..

نحو قلعة الكونت (دراكيولا) ..

* * *



ثم انفتح الباب ببطء عن رجل يمسك بشمعة في يده .

٤ـ الكونت ..

اندفعت العربة بسرعة جنونية بين الأشجار ..

وأحست (عبير) أن عظامهما قد وضعت فى خلاط أسمنت يحاول تحويلها إلى مستحلب دقيق ..

حاولت أن تنادى الحوذى . لكن صوتها الرفيع الرقيق ضاع فى ضوضاء حوافر الخيل وارتطام أجزاء العربة ببعضها ..

وسمعت من بعيد عواء الذئاب ..

نعم .. هذا متوقع كما بالقصة الأصلية .. الذئاب العملاقة التى تطارد العربة . وتحيط بها طيلة الطريق إلى قلعة الكونت ..

* * *

وعند بوابة القلعة العملاقة وقفت تنتظر ..

صوت الذئاب العميق الطويل المفعم بالشجن يتردد من بعيد .. فيوشك قلبها أن ينخلع ..

سمعت صوت خطوات .. ثم انفتح الباب ببطء عن رجل يمسك بشمعة فى يده ..

وتأملته (عبير) فى اهتمام ..

لقد قام كثيرون بأداء دور (دراكيولا) فى السينما ، من عهد (لون شانى) و (فنسنت برايسى) ، مرورا بـ (كريستوفرلى) ، وانتهاء بـ (توم كروز) ..

لكنها لم تر سوى فيلم واحد من أفلام (دراكيولا) فى السينما ، قام ببطولته (كريستوفرلى) ـ الذى لم تكن تعرف اسمه ـ لهذا ظل وجهه الوسيم المميز هو وجه (دراكيولا) بالنسبة لها ..

وكان طبيعيًا أن يكون هذا هو الوجه الذى ستراه الآن ..

كهل وسيم بادى الرقى .. متأنق .. فارع القامة .. أقرب إلى الحزن فى عينيه .. أشيب الفودين .. يعانى نحولاً فى الشعر على جانبى رأسه ..

وكان يرتدى عباءة سوداء مبطنة بالمخمل الأحمر ..

ابتسم لها فى مودة ، ودعاها إلى الدخول .. وحياها بالتحية الرومانية الشهيرة :

ـ أهلا بك فى دارى .. إليها تدخلين حرة ومنها ترحلين سالمة .. فقط بعد رحيلك أتركى لنا بعضًا من كل هذه السعادة .. ثم صافحها بيد باردة معروقة .

ـ أنا الكونت (دراكيولا) ..

كادت تولى الأدبار إذ سمعت عبارته الأخيرة .. ثم

قالت لنفسها إنه لا مبرر للذعر .. أنت تشاهدين فيلمًا سينمائيًا يا (عبير) ، ومن المستحيل أن يؤذيك .. سر ما هنالك هو أنك جزء من هذا الفيلم .. ومن الحمق أن تغادرى دار السينما قبل انتهاء الفيلم ؛ لمجرد أنك جبانة أكثر من اللازم !

إلى الداخل دعاها .. إلى قاعة بها مدفأة ومائدة عليها أصناف عدة من الطعام الشهى .. فأجلسها عند طرف المائدة ..

واختار مقعدًا جلس عليه أمامها .. وقال فى رزانة :

ـ كنت بانتظار موثق عقود يدعى (جوناثان هاركر) .. وهو انجليزى .. لكنه لم يأت ، وجئت أنت بدلا منه .. أعتقد أن العشاء سيكون من نصيبك ..

كانت تعرف أنها تمرّ الآن بكل ما كان (هاركر) سيمرّ به فى الرواية الأصلية التى كتبها (ستوكر) .

تعرف أنها ستظل حبيسة قلعة الكونت فترة زمنية طويلة ، ترى فيها أهوالا عدة .. ثم تعود إلى (انجلترا) لتقابل خطيبتها (لوسى) ..

خطيبتها ؟.. صعب هذا الجزء .. من المؤكد أن (دى ـ جى ـ ٢) سيجد حلاً آخر لأنه من المستحيل ـ على الأرجح ـ أن تكون لها خطيبة ..

* * *

سألته وهى تلتهم الطعام :
ـ إذن أنت الكونت (دراكيولا) مصاص الدماء ؟
ابتسم فى رقة واعتدل فى جلسته :
ـ مرحى .. أرى أنك تعرفين الكثير . وهذا يريحنى من عناء التظاهر بالبراءة .. نعم أنا مصاص دماء ..
ـ هل حقًا يوجد مصاصو دماء ؟
هرش فى عنقه وغمغم :
ـ بالنسبة لى أنا ، يوجد قدر لا بأس به من الحقيقة ، فأنا بطل رومانى قديم ، حارب الأتراك بضراوة .. كنت أدعى (فلاد) .. واستطعت تحرير إقليم (والاشيا) من قبضتهم تمامًا ..
صحيح أننى كنت قاسيا .. صحيح أننى كنت أضع رءوس أعدائى على مائدة الإفطار ؛ لأنعم بالموت فى عيونهم .. لكنى لم أمتص دماء أحد .. إنها الأسطورة التى أشاعها الناس عنى .. والاسم اللعين الذى ألصقوه بى : (الشيطانى) .. وفى (المجر) أطلقوا علىَّ اسم (نوسفيراتو) .. أى (الذى لا يفنى) .. هى مجرد سمعة سيئة سرعان ما تحولت إلى أسطورة خالدة .. ، لكننا الآن نعيش بمعطيات ومقاييس هذه الأسطورة ..

لهذا يمكنك أن تتأكدى من أننى مصاص دماء ، أنام النهار فى تابوت . وأصحو ليلا لأمتص دماء عابرى السبيل ..
تساءلت فى قلق :
ـ وهل تنوى امتصاص دمى ؟
ـ أنا أرحب بدماء الحسناوات مثلك دائما !
ظننته يمزح .. ثم تذكرت أنها فى (فانتازيا) .. و (عبير) فى (فانتازيا) تصير أكثر جمالا وأحد ذكاء بما لا يقاس ..
وهنا أردف الكونت :
ـ يمكننى أن أنهض الآن وأكبل حركتك ، وأمتص دماءك فورًا .. لكنى بذلك أنهى الأسطورة فى ثوان .. وأنا مكلف بأن أجعلك تعيشين مغامرة شيقة لا بأس بطولها .. هل فهمت ؟.. لا بد من أحداث وإلا كان البرنامج مثيرًا للإحباط ..
ـ إذن ماذا تنتوى ؟
ـ سآخذك إلى القبو وأقيدك هناك !
ـ وهل تظننى لن أقاوم ؟
ابتسم فى ثقة .. وأحست (عبير) بأن هناك بقعا ما على وجهه .. على الصورة كلها .. على العالم كله فى الواقع ..

كان ستارا من الشاش الطبى يغلف كل شىء من حولها

وأدركت أن وعيها ينسحب ببطء منها ..

وسمعت صوت الكونت :

- أرجو أن تسامحينى على وضع مخدر فى طعامك ..

إنها الطريقة المثلى لنقلك إلى هناك دون مقاومة ..

كيانها يذوب ببطء .. وعيها يتسرب .. إدراكها أنها هى .. وفهمها لمعطيات الواقع .. كل هذا يتحول إلى ضباب رمادى تراه يبتعد عن مرمى بصرها ..

إنها تغيب عن الـ ...

* * *

الآن تصحو (عبير) فلا تجد أمام عينيها سوى الظلام ..

رائحة الرطوبة والعطن قادمة من لا مكان .. والإحساس بأنها عاجزة عن الحركة تمامًا .. لكنها واقفة .

ثمة شىء يمنع ذراعيها من التدلى إلى جانبيها .. شىء له برودة الفولاذ وصلابة الفولاذ وقسوة الفولاذ ..

لا تحتاج إلى الضوء كى تدرك أنها مكبلة إلى الجدار

بسلاسل فولاذية فى وضع الوقوف ..

الآن تعتاد عيناها الظلام إلى حد ما .. فترى حدود الموجودات حولها ، مغلفة بلون رمادى شاحب ..

إنه قبو - كما هو واضح - فسيح .. تزحف الرطوبة على جدرانه المتآكلة .. وفى كل أرجانه صناديق خشبية ضخمة ، بينما الفئران تلهو هنا وهناك .. اللعنة !.. إنها لا تطيق الفئران ..

ابتلعت ريقها ورفعت عينيها لأعلى ، فرأت سقفا مدعما بالقوائم الخشبية المتآكلة ، تتدلى منها خطاطيف كالتى يعلق الجزار عليها لحومه ... ثم .. توقفت عيناها على أشياء صغيرة متدلية هنا وهناك من أحد العروق الخشبية ..

فئران ؟.. لا .. مستحيل أن تكون فئرانًا ، وإلا فلماذا هى متدلية ورءوسها لأسفل ؟.. وما سر هذا الغشاء الأسود المطبق على الجسد ؟

إنها أشياء أقرب إلى فئران مجنحة كبيرة الآذان ، تتدلى متعلقة من أقدامها ..

وطاويط !.. هذا واضح ولا يحتاج إلى أن تكون عبقريا ..

شعرت بقشعريرة تسرى فى عمودها الفقرى .. يبدو

أنها كانت مخطئة حين اختارت هذا المكان بالذات .. وهذا الحلم بالذات .. . إن كل ما فيه يشع قاتم كئيب ، يبعث القشعريرة في كل كيانها .. والخطأ خطؤها ولا مراء ..

فحينما قررت أن ترعب نفسها حتى الموت . كان عليها أن تتوقع وجود فئران ووطاويط وأقبية مظلمة .. لأن قصص مصاصي الدماء لا تكتمل دون هذا كله ..

ولكن .. ماذا عليها أن تنتظره الآن ؟.. إن الوقت يمضي ببطء شديد وذراعاها يؤلمانها إلى حد غير عادي ..

صوت صرير في ركن القاعة ..

بصعوبة تحاول أن تتبين ما هنالك وسط الظلام .. خيل إليها أن غطاء صندوق من تلكم الصناديق الخشبية ينفتح ..

بالفعل هو كذلك !.. الصندوق ليس سوى تابوت .. تابوت يرتفع غطاؤه ببطء شديد .. وهي ترى يدًا تخرج منه تحاول عبثًا أن تمسك بشيء ما ..

ثم .. انفتح صندوق ثان .. فثالث ..

ومن الصندوق الأول ترى ظلاً ينهض .. ظلاً له شعر منتثر كالنيران حول وجهه .. وترى الظل يمد ذراعيه

على امتدادهما .. وتسمع صوت فتاة متحشرجا مبحوحا يقول وكأنه يتثاءب :

ـ أخيرا جاء الليل واستعدنا قوانا !

ثم تراها تنهض من الصندوق .. مغلفة بالظلام ، تنهض مترنحة وتمشي بضع خطوات نحوها ..!

الآن تستطيع (عبير) أن تدرك كنه هذا (الشيء) ..

فتاة هي .. شقراء مبعثرة الشعر .. يبدو أنها كانت على شيء من الحسن ، قبل أن تتحول إلى هذا المسخ الذي صارته ..

عيناها حمراوان كأقداح الدم .. وفمها ـ المبهور الأنفاس ـ تنحدر على ركنه قطرات من الدم الجاف ..

وبرغم الظلام الدامس ، أدركت (عبير) أن للفتاة نابين أبيضين يلتمعان كنصال الخناجر ..

نحوها تمشي ببطء ، وهي تحرك أناملها أمام صدرها بأسلوب غريب . ذكر (عبير) بعشرة من الثعابين تزحف في وقت واحد ، نحو فريسة مذعورة معدومة الحيلة ..

ومن طرف عينها ، أدركت (عبير) أن فتيات أخريات يغادرن صناديقهن الآن متجهات نحوها ..

الآن صار الموقف كالتالي :

(عبير) مكبلة إلى الجدار عاجزة عن الحركة . بينما حولها تلتف ست من مصاصات الدماء . اللواتى غادرن صناديقهن .

ـ (شريف) !.. أنقذنى !.. أنه هذه القصة حالا !

صرخت وهى تحاول التملص من قيودها :

المفترض أن هذا المعتوه ـ (شريف) ـ يراها ويسمعها . ومن المفترض أن يدلى لها بتعليماته أو ينقذها .. هل يوجد وقت أجدر بذلك من هذه اللحظة ؟..

« لا داعى لدخول القلعة يا (عبير) .. هل تسمعين ؟ »

دوّى هذا الصوت الهادئ فى أرجاء عقلها الباطن .. فدهشت لحظة ، ثم أدركت أن هذا هو (شريف) يدلى بتعليماته لها كما وعد .. ولكن ما معنى أن يمنعها من دخول القلعة ؟.. لقد دخلتها بالفعل منذ ساعات أو أيام لا يعلم عددها إلا الله (سبحانه وتعالى) .. لماذا ينصحها الآن بذلك ؟

وهنا فهمت . أن (شريف) متأخر فى متابعة الأحداث ؛ لأنه يعتمد على إبطاء الصورة .. وهكذا يراها الآن على شاشة الكمبيوتر . وهى مازالت واقفة أمام باب قلعة (دراكيولا) .. ولهذا ينصحها بعدم الدخول .

غير عالم ـ الأحمق ـ أنها دخلتها منذ زمن .. وأنها الآن واقعة فى شراك جيش من مصاصات الدماء !..

قطعت تدفق خواطرها . حين أحست أن الفتاة الأولى ـ الشقراء ـ قد دنت منها تماما .. حتى أن (عبير) لتشم ريح أنفاسها المقزز ..

أنفاس لها رائحة الموت .. وتسمع فحيحها الشبيه بفحيح الأفاعى ..

ورأت النابين الحادين . تكشف عنهما شفتان متقرحتان ترسمان أوقح وأبشع ضحكة رأتها فى حياتها ..

انتهى الأمر .. إن هى إلا ثوان حتى .....

وفى اللحظة التالية ، رأت الفتاة ترتفع إلى أعلى .. ثم تطير فى الهواء .. لتصطدم بالجدار .. فتسقط على الأرض متكوّمة تئن ..

رفعت عينيها لتجد الكونت (دراكيولا) بقامته الفارعة . يقف ـ وقد بدا عليه الغضب ـ ينظر إلى الفتيات ..

وصاح بصوت جهورى مدو :

ـ إن الفتاة ليست لكن !.. عدن إلى توابيتكن الآن !

تراجعت الفتيات فى خيبة أمل إلى الوراء . ككلاب

تبصبص بذيولها بعد أن طردها صاحبها من داره ..

ودنـا الكونـت مـن (عبـير) . وقـرب وجهـه مـن وجهها ..

عيناه الرماديتان شديدتا التأثير في روحها .. لقد أنقذ حياتها .. ولكن لأنه يختص نفسه بمتعة امتصاص دمها ..

كانت قد رأت أشياء عديدة من هذا النوع . في الفيلـم اليتيم عـن (دراكـولا) الـذي رأتـه .. مصاصـات الدمـاء اللواتي يستحوذ عليهن الكونت (دراكيـولا) فـي قبـوه . مانعا إياهن مـن امتصـاص دم ضحيتـه الأثـيرة إلـى نفسه .. وهي سـتكون هذه الضحية . فأي شرف وأي فخار !

وشـ... أنفاسه تدنو من عنقها ..

وسـ... يهمس وهو يلف عباءته حولها :

ـ الـ... خلـود يحتـاج إلـى تضحيـات .. وهـذه هـي التضحية الأولى !

حاولت أن تقاوم فلم تستطع ..

الوهن يزحف إلى أطرافها ..

النابان الحادان يغوصان في وريد رقبتها ..

ثم .. لا شيء .....

* * *

٥ـ غير ميتة ..!

(غير ميتـة) .. هي كلمـة تختلـف كثيرا عن كلمـة (حية) .. وليست مرادفا لها بحـال .. مصاصو الدمـاء فقط يعرفون الفارق اللغوي الحساس بين اللفظتين ..

و (عبير) لـم تصـر مصاصـة دمـاء بعـد .. لكنهـا وضعت قدمها بثبات على أول درجة مـن السلم الذي يقود إلى أن تصير (غير ميتة) ..

* * *

شمس حارقة تغمر جسدها وتحرق جفنيها ..

فتحت ببطء عينيها . لترى آلاف الشموس مرتسمة على شبكتيها ..

وبصعوبـة تمكنـت مـن أن تـدرك أنهـا ممـددة فـي العراء . جـوار شـجرة غليظـة الجـذع .. وأن الريـف الرومانـي بـاهر الجمـال . يمتـد أمـام عينيهـا إلـى حيـث حدود الأفق ..

رأت مـن بعيد مجموعـة مـن الرجـال والنسـاء . فـي ثياب غريبـة مزركشـة . يركبـون بعض عربـات تجرهـا الخيـول .. وبعضهم راجل .. كثير منهم كان يربط رأسه



رأت من بعيد مجموعة من الرجال والنساء ، فى ثياب غريبة مزركشة ،

يركبون بعض عربات تجرها الخيول ..

بعصابة مرقطة .. وبعضهم يحمل كمانا صغيرا ..

هرعت ــ مترنحة ــ إلى قافلتهم .. فتوقف بعضهم يرمقها فى فضول ودهشة .. ودنا منها عجوز كث الشاربين . له عين عوراء ليسألها :

ـ من أين جئت يا فتاة ؟

ـ من أنتم ؟

ضحك ضحكة مجلجلة سرعان ما استحالت إلى سعال يهتز به صدر الشيخ .. كأنما هو صندوق يحوى دستة من البلى ..

ـ ها ها ها ا ا ا ه !.. ها ها كح كوح كح !.. إنك ــ ولا شك ــ غريبة يا فتاة حتى تجهلى غجر (التسجانى) .. ملوك غابات رومانيا وسادة سهولها .. كح كح !

ورأت شابًا أسمر مفتول العضلات ، له شاربان عملاقان يدنو منها .. كانت ملامحه تعكس شراسة غير عادية .. وسألها :

ـ من أين جئت ؟.. هلا أجبت السؤال ؟

تراجعت بظهرها خطوة للوراء إزاء مسلكه العدوانى ..

وفى وجل قالت :

- من .. قلعة الكونت !

- كونت (دراكيولا) ؟

- نعم ..

خرجت سيدة تربط رأسها بعصابة حمراء من وسط الجمع . وعلى كتفها رضيع غاف .. كانت حافية القدمين متنمرة تماما ..

- واحدة أخرى منهم !.. هلم يا (فيتور) دعها وشأنها .. دعنا نواصل رحلتنا قبل أن يحل الظلام ونحن فى هذه الأرض المشئومة ..

عم تتحدث هذه المرأة ؟.. واحدة من من ؟..

كل ما تعرفه (عبير) هو أنها كانت عند (دراكيولا) . وأنه كان على وشك امتصاص دمها ، ثم من الواضح أنها نقلت إلى هذا المكان وهى فاقدة الوعى ..

لهذا هتفت فى إلحاح :

- عم تتحدثون ؟.. ماذا قد حدث لى ؟.. أرجوكم أن تتكلموا !

فى إلحاح أعنف صاحت المرأة :

- هلم يا (فيتور) وأنت يا (دراجوزانى) .. إننا الان نسير فى أملاك الكونت .. ومعنى هذا ...

اوقفها العجوز بإشارة حاسمة من يده . وفهمت (عبير) أنه هو قائد هذه المجموعة من الغجر .. وبالتأكيد اسمه (دراجوزانى) . اما الفتى حاد الطباع فهو (فيتور) ..

قال العجوز بلهجة من لا يقبل النقاش :

- سنصحبها معنا إلى (بوكوفينا) ..

- ولكن ...

- إن البائسة لاتعرف ما حل بها .. لربما كان خلاصها ممكنا ..

وهكذا .. وجدت (عبير) نفسها جالسة فى عربة مسافرين ، تهتز بها أماما وخلفا .. ويمينا ويسارا .. بينما القافلة تمضى إلى وجهتها فى (بوكوفينا) ..

* * *

هل تحبين موسيقا (البلالايكا) ؟

سألها ذلك الشاب الشرس ، وهو جالس جوارها فى الجزء الخلفى من العربة ، ودون أن ينتظر جوابها ، رفع إلى ذقنه آلة وترية تشبه الكمان الا أنها على شكل مثلث .. ومد قدمه التى يغطيها حذاء ذو رقبة ؛ ليريحها على المسند الخشبى أمامه ، وأراح هذه (البلالايكا) ما بين ذقنه وعنقه .. ثم شرع يحرك القوس على الأوتار

بسرعة لاتصدق . فتبعث ألحانا غاية فى المرح والانطلاق ..

وسمعت العجوز الذى يقود العربة من خلف مقعده (يدندن) نغمات تتماشى مع هذه الألحان الرشيقة ، بصوت أجش مبحوح ..

وكذا تمضى العربات ببطء خارجة من أرض (دراكيولا) ..

(عبير) .. لا تشربى ولا تأكلى شيئا .. يخيل لى أن الكونت (دراكيولا) قد دس لك مخدرا ما ..!

هكذا دوى صوت (شريف) فى ذهنها . عليك اللعنة !.. تنذرنى بعد خراب (مالطة) كما يقولون .. أعتقد يا (شريف) أن معاونتك الصوتية لن تكون ذات نفع لى .. كل تعليماتك تجىء بعد فوات الأوان .. فلربما كان الأفضل لك ولى لو التزمت الصمت ..

* * *

كان (فيتور) مرحا .. برغم حدة طباعه الواضحة ، وسرعة ثورته . وجدته (عبير) رفيق سفر طيبا ..

سألته عن سر خوف الغجر منها .. فقال :

ـ إنهم وجدوك غافية فى أملاك (دراكيولا) .. ونحن لانعرف عن هذا الكونت سوى أنه يسمح لنا بالمرور

فى أرضه .. لكن الأسرار الشريرة تحوم حول هذه القلعة .. أشياء ملعونة تحدث من حين لاخر .. احيانا يجدون عابرى سبيل راقدين على الأرض . وليس فى عروقهم قطرة دم واحدة .. أطفالنا يختفون ليلا ولا نجدهم ثانية .. لهذا نحرص على عبور هذه الضياع بسرعة وفى ضوء النهار .. ونحافظ على اطفالنا ..

ـ هل تعنى أنها قلعة مصاصى دماء ؟

ـ أعنى ذلك وأكثر ..

ثم تلفت حوله كمن يخشى أن يسمعه أحد .. وقال :

ـ يقولون إن هناك عالما موازيا لنا ، هو عالم مصاصى الدماء .. توجد ثغرة أو ممر .. بين ذلك العالم وعالمنا .. وهذه الثغرة تقع فى (والاشيا) أو (ترانسلفانيا)(*) ..

ومن حين لآخر ينجح مصاص دماء فى اجتياز هذه الثغرة ؛ ليجد نفسه فى عالمنا .. ربما كان هناك شىء من الصدق فى هذا وإلا لماذا يزخر هذا البلد بأساطير مصاصى الدماء ؟

(*) مقولة شهيرة بالفعل

قضمت (عبير) قضمة من الأجاصة التى أعطاها إياها... وتساءلت :

ـ وهل تعرف شيئا عنهم ؟

بصق على الأرض من فوق حاجز العربة .. وقال :

ـ كل الغجر يعرفون الكثير عن مصاصى الدماء .. غير الموتى .. فى النهار ينامون فى تابوت . ويخرجون ليلا بحثا عن فريسة مناسبة .. إنهم لا يطيقون الشمس ولا الصلوات ولا الماء المقدس ولا رائحة الثوم ..

نظرت (عبير) إلى حزم الثوم المعلقة على جوانب العربة ، ولم تر داعيا لمزيد من الأسئلة عن سبب وجودها هنالك ..

* * *

وجاء الليل ..

توقفت القافلة لقضاء ليلتها فى هذا المكان ، الذى هو عبارة عن مساحة خالية من الأشجار قريبة من قرية (هالماجيو) ..

أوقدوا النيران وجلسوا يلتهمون العشاء .. بينما جلس عدد منهم يعزفون على الكمان بألحان مجنونة ، تصاحبها دقات على الدفوف ..

والفتيات بتنوراتهن المزركشات يرقصن حول الجالسين ..

أشار العجوز نحو جبل بعيد وقال لـ (عبير) :

ـ هذا هو جبل (زاراندولى) يا فتاة .. هيه !.. هل تحسنين الرقص ؟.. غريب هذا !.. إن قدميك الصغيرتين خلقتا كى تنقليهما فوق الأرض على أنغام (البلالايكا) .. وأنت يا (دمتريو) أيها الفتى الشجاع .. قل لأولئك النسوة ألا يذهبن بعيدا .. إن هذا الإقليم يعج بالمذءوبين ، والقمر الليلة بدر مكتمل ..

مذءوبين ؟.. بدر ؟..

ما هذا الكلام الغريب ؟

تذكرت أنها حين رحلت كانت بداية الشهر العربى .. وما زال هناك أسبوعان على اكتمال القمر ..

ثم ما دخل المذءوبين فى الموضوع بالضبط ؟

وهنا فقط عادت تتذكر أن كل هذا حلم ..

إن (دى ـ جى ـ ٢) يحاول أن يقدم لها كل ما تريد من تسلية فى مرة واحدة .. مصاص دماء ، ومذءوب . ورحلات مع الغجر . و .. و .. ولا بأس من أن يصير القمر بدرا فى غير موعده؛ لمجرد أن تكون هناك فرصة لمزيد من الإثارة ..

ذكرها هذا بمنطق الأفلام الهندية : ثلاث ساعات من الغناء والرقص ، والحب . والجريمة . والعنف .

والمطاردات البوليسية . وأزمات العواطف .. حتى لا يفلت مشاهد واحد ـ مهما كان ذوقه ـ من دائرة الفيلم ..

إن (دى ـ جى ـ ٢) يتصرف بذات المنطق إذن ..

سألت العجوز على سبيل الثرثرة لا أكثر :

ـ وماذا جاء بالمذءوبين هنا ؟

سعل الرجل وبصق فى النيران .. وأعاد حشو غليونه الطويل بالطباق .. وقال :

ـ مذءوبين ؟.. يا للشيطان !.. إن (رومانيا) تعج بهم أكثر مما يعجّ البحر بالأسماك .. رجال كثيرون يا فتاة ، يتحولون إلى ذئاب حين يكتمل القمر .. لا أعنى بذلك المعنى المجازى .. فلتأخذنى داهية إن كنت أعنى ذلك .. كل الرجال ذئاب هذا حق .. ولكن ..

انظرى !.. هناك رجال يصيرون ذئابًا حقيقية .. ذئابًا لها مخالب وأنياب .. هاك .. إن كنت لا تعرفين ..

ـ فهمت ..

وجلست تتأمل النار المتراقصة ، وتقاوم القشعريرة الزاحفة على طول عمودها الفقرى ..

* * *

حين نامت مع النساء فى مؤخرة العربات ؛ كان

الرجال يفترشون الكلأ .. وقد ظل أحدهم ساهرا يحرس القافلة ..

من الغريب أنها كانت تحلم وهى غافية بحياتها الأخرى .. بالمدرسة .. بالزقاق .. بعملها فى مكتب ألعاب الكمبيوتر ..

هذا منطقى ـ خطر لها وهى نائمة ـ أن تحلم فى أثناء الحلم بالواقع ..!.. كما أن نفى النفى إثبات ..

خيل إليها أنها تسمع صوتا ما جوار رأسها ..

صوتا هو أقرب إلى مخالب تخدش جانب العربة ..

صوت لهاث .. وزنير مكتوم ..

وثب قلبها إلى فيها ، ومدت يدا متوترة تهز (ناديا) الفتاة الغجرية النائمة جوارها .. وشعرت بها تتحرك فى الظلام متسائلة :

ـ ماذا دهاك ؟

ـ هل تسمعين ؟

أصاخت الفتاة السمع بضع ثوان .. ثم هتفت :

ـ وحق (مريم) العذراء .. إنه لصوت المذءوب !

وقبل أن تسألها (عبير) عما ستفعلانه فوجئتا ـ وباقى النسوة ـ بجانب العربة القماشى يتمزق ..

وفى ضوء القمر الفضى برز خيال عملاق .. شىء

ضخم أشعث خيل لـ (عبير) أنه إنسان يرتدى قناع ذئب .. ثم أدركت فى هلع أن هذا هو شكل رأسه الحقيقى ..!

هو ذا يعتلى جانب العربة . متشبثا بالقماش الممزق .. يدس رأسه فى الفتحة . فتفعم رائحة أنفاسه الكريهة صدور النساء ..

ثم ـ بعينين متقدتين فى الظلام ـ يكمل وثبته إلى الداخل .. ويصدر زئيرا منتصرا ..

حتى هذه اللحظة ، لم تتبين (عبير) وجهه فى الظلام ، لكنها ترى (السيلويت) المميز له ، وبريق عينيه وقطرات اللعاب اللامعة إذ تتساقط من فيه ..

وفى اللحظة التالية ، كانت النسوة يصرخن ـ كأنما هناك من ينتزع عيونهن ـ ويثبن من العربة واحدة تلو الأخرى ..

للأسف ليست (عبير) بهذه الخفة ، وليست ممهدة لقفزات بطولية كهذه ، هى حتى لا تجيد فن الصراخ ..

ها هى ذى إذن على أرضية العربة جاثية على ركبتيها ، تحاول أن تقول أو تفعل شيئا .. بينما ذلك المسخ يقف عند رأسها ، فاتحا ذراعيه ومخالبه كمروحتين ، آتيا بحركات غريبة أشبه بوحش يتلمظ ..



هو ذا يعتلى جانب العربة ، متشبثا بالقماش الممزق .. يدس رأسه فى الفتحة ، فتفعم رائحة أنفاسه الكريهة صدور النساء ..

إنها النهاية إذن .
دنا منها المذءوب أكثر .. فأكثر ..
وفجأة رأت جسده كله يرتجف ..
في اللحظة التالية . اطلق عواء حزينا طويلا . كعواء ذئب جريح . ثم استدار .. ووثب من مؤخرة العربة مطلقا ساقيه للريح ..
سمعت جلبة .. وصوت طلقات رصاص من بنادق الغجر البدائية ..
وحين نجحت أخيرا في أن تزحف إلى مؤخرة العربة ، وجدت قافلة الغجر كلها تقريبا ، تحمل المشاعل وتطارد المذءوب بين الأشجار .. بقعة لهب تغوص في بحر الظلام ..
فقط كان هناك شيء ما ملقى على الأرض .. وجواره ركع العجوز زعيم المجموعة يربت عليه وينتحب ..
دنت أكثر لترى ما هنالك ، فأدركت أن الشيء هو جثة ممزقة ملوثة بالدماء .. طبعا جثة الغجري الذي سهر يحرس القافلة في أثناء نومها .. لقد بدأ المذءوب به ..
كان العجوز يولول مرددا دون كلل :
- ابني (ديمتريو) .. كان جميل الصورة .. كان

جميلا سليم الجسد كمزمار .. انظري إلام صار !
ورفع عينه نحوها .. وفوجئت به يقول :
- لقد كنت شؤما علينا .. حتى المذءوب رأى وصمة (دراكيولا) على جسدك ، وخاف أن يلمسك !.. ألم تفهمي هذا بعد ؟!..
....

* * *

٦ - البصارون ..

فى هذه المرة تمشى (عبير) إلى (بوكوفينا) قاصدة لا مكان ..

لقد تخلى عنها الغجر ؛ لأنهم صاروا مؤمنين بأنها شؤم على رحلتهم ..

وبكل إلحاح توسلت إليهم أن يسمحوا لها بقضاء الليل معهم ، فسمحوا لها على أن تفارقهم عندما يبزغ الفجر ..

والآن تمشين يا (عبير) تحت الشمس الحارقة ، مقتفية آثار العجلات على الأرض الترابية ..

لماذا (بوكوفينا) بالذات ؟

لا تدرين .. أنت لا تعرفين اسم مدينة واحدة فى (رومانيا) سوى (بوخارست) التى تبدو بعيدة جدًا .. لهذا تقصدين أول مدينه تعرفين اسمها ..

لكن الطريق طويل .. والحرّ شديد .. والظمأ منهك ..

فمن الطبيعى ان تسقطى فاقده الوعى ..

* * *

« اهربى يا (عبير) !.. المذءوب يحاول اقتحام العربة ! »

أفاقت من إغماءتها .. على صوت (شريف) سترددفى ذهنها كالعادة بعد فوات الأوان .. أو كما يقول التعبير العامى (بعد الهنا بسنة) .

فابتسمت فى إنهاك .. وفتحت عينيها

كانت فى فراش نظيف مريح ..

النافذة مغطاة بستائر من المخمل مزركشة .. وإلى جوار الفراش شمعدان صغير على (كومود) خشبى ..

وكانت ترتدى قميص نوم حريريًا سابغًا ..

أدركت كل هذا بعد ثانيتين من التأمل السريع ..

والأهم ، هو أنها أدركت أن رجلا أشيب الشعر يجلس جوار فراشها ؛ يحدجها بنظرة هى للحنان أقرب ..

أصابها الهلع وغطت كتفيها بالملاءة ، فلم يسبق أن رآها رجل بقميص النوم حتى فى الخيال ..

لكن شيئًا ما فى مظهره جعلها تدرك أنه طبيب .

هاتان العينان المنهكتان ، اللتان لم يعد يثير دهشتهما شىء .. والابتسامة الحزينة الشاحبة .. والتجاعيد على ركنى الفم .. والمنظار المتدلى على قصبة الأنف ..

لا يمكن - ولا يجوز - لصاحب هذه الملامح أن يكون شيئا سوى طبيب ..

كانت تحاول ألا تكون تقليدية مملة ، لكنها لم تستطع ..

السؤال الخالد يتردد على شفتيها :

ـ أين أنا ؟

ـ أنت فى خان بـ (جالاتز) على نهر (الدانوب) ..

وكان صوته حين تكلم رخيما رقيقا .. ولم تكن (عبير) تفقه حرفا من أية لغة أجنبية .. لكنها أدركت أن الرجل يتحدث الألمانية بلهجة أجنبية إلى حد ما .. وبالطبع وجدت نفسها تفهم الألمانية وتتكلمها بطلاقة ..

سألته وهى تفرك عينيها :

ـ ومن أنت ؟

ـ طبيب هولندى .. البارون (فان هلسنج) ؟

وابتسم كأنما يأمل أن يذكرها الاسم بشىء .. لكن سدى ..

ـ هولندى ؟.. وماذا جاء بك إلى (رومانيا) ؟

ـ تنسين دوما يا ملاكى أنك فى (فانتازيا) .. ولو أن المغامرة تحتاج إلى خبير فى علوم الذرة من (الإسكيمو) ، لوجدته أمامك قبل أن يرتد إليك طرفك ..

ثم هز رأسه باسما فى ثقة :

ـ أنا أستاذ فى جامعة (أمستردام) ..

ـ وماذا جاء بى هاهنا ؟

ـ كنت ماشيا فى الطريق حين وجدتك ملقاة هناك فاقدة الرشد .. وتعاونت مع بعض الفلاحين الرومانيين حتى وضعناك على عربة حرث ، وجئنا بك هاهنا .. إننى أقيم فى ذات الخان .. وأعتقد أن الإقامة به تناسبك ..

ـ لكن نقودى ...

ـ أوه !.. حاولى أن تنسى ذلك يا فتاتى ..

وفوجئت به يرفع الملاءة لتغطى ذقنها .. ثم يقول فى حنان وهو ينهض :

ـ أعتقد أنك بحاجة إلى مزيد من النوم لتستعيدى قواك ..

وفى الصباح نتحدث عن موضوع معين ..

وهكذا وجدت (عبير) نفسها راقدة فى الغرفة وحدها ..

* * *

ضوء القمر يغمر الغرفة قادما ـ فى حياء ـ من خلف الستائر .. و (عبير) راقدة فى عالم آخر من الأحلام ، التى لا ندرى كنهها فى الواقع .. صدرها يعلو ويهبط .. بينما ذراعها مثنية إلى أسفل الوسادة .. والذراع

الأخرى ممددة جوار جسدها فى استرخاء ..

يمكننا أن نزعم أن الوقت يدنو من الثالثة بعد منتصف الليل ..

لكن .. ترى لماذا تتقلب (عبير) بهذه الكثرة ؟

لماذا تحرك رأسها ذات اليمين وذات اليسار ؟

ما هو الحلم الذى تراه ويجعلها قلقة إلى هذا الحد ؟

* * *

البارون (فان هلسنج) جالس فى قاعة الجلوس بالخان ، يحسو قدحا من الشراب ، ويثرثر مع صاحب الخان البدين (ميخائيسكو) ..

يقول صاحب الخان للبارون :

ـ تبدو قلقًا يا سيدى ..

فيقول (فان هلسنج) وهو يشعل غليونه :

ـ الواقع .. نعم يا (ميخائيل) .. هذه الفتاة تحيرنى .

ـ ولماذا ؟

ثم يبتسم فى وقاحة ويضيف :

ـ آه !.. ربما هو الحب يا بارون .. إننى أفضل البدينات ..

ـ لا ترفع الكلفة يا صديقى .. إن هذا قد يكلفك

الكثير .. ما أريد قوله هو أن أسرارا ما تحيط بها .. مثلا أجدها بطريق الصدفة مغشيا عليها فى الطريق . ولا أعرف تفسير هذا .. ثم أجد هذا الجرح غريب الشكل فى رقبتها .. هنا ..

ومد إصبعا يشير به إلى جذور عنقه .. حيث الشريان السباتى ..

فاتسعت عينا صاحب الخان فهمًا .. وهتف :

ـ أوه !.. أرى ما ترمى إليه .. وحق العذراء المقدسة أنا أرى ما ترمى إليه ..

فى برود غمغم البارون وهو يدق غليونه فوق طبقه ليفرغه :

ـ أما أنا فلا أفهم شيئًا على الإطلاق ..

ـ أوه يا بارون .. أنت فى (رومانيا) .. و (رومانيا) تختلف عن (هولندا) كثيرًا ..

* * *

بالفعل (رومانيا) تختلف عن (هولندا) كثيرًا .. بل تختلف عن أى بلد أوروبى آخر ..

قل لى ، فى أى بلد أوروبى تحلق الوطاويط وراء النوافذ المغلقة ، ضاربة الزجاج بأجنحتها كأنما تنادى ؟...

هو ذا وطواط صغير يحلق خارج النافذة مرارا وتكرارا .. ثم ..

(عبير) تزداد قلقا فى نومها ..

زجاج النافذة يتحول إلى قطع دقيقة ، تتساقط واحدة تلو الأخرى .. والريح تقتحم الغرفة كأنما كانت تنتظر هذه اللحظة ..

الستائر تتطاير داخل فراغ الغرفة متراقصة ..

والغيوم تتكاثف أمام صفحة القمر ، رمادية .. كئيبة .. غامضة ..

* * *

رشف البارون جرعة أخرى من شرابه .. وتساءل :

ـ أنت ـ إذن ـ تتحدث عن مصاصى الدماء يا (ميخائيل) ..

ـ حتما يا بارون .. أنت رجل متعلم وكثير الأسفار .. ولا تخفى عليك أشياء كهذه .. إن (رومانيا) تعج بهم ..

ضيق البارون عينيه ، وراح يتأمل النيران المشتعلة فى المدفأة ، وظلالها تتراقص على جدران الخان الذى لم يعد به أحد ساهرا سوى اثنين من المخبولين ..

نعم هو يعرف أشياء كهذه ..

يعرفها جيدا وأكثر من غيره ..

كان ذلك منذ أعوام .. حين رأى صراع أبيه البروفسور (إيجور) مع مصاص الدماء العجوز (هانسن) .. كان واقفا فوق سور الكنيسة ، يراقب المشهد المروّع فى الظلام ..

يرى أباه ملتحما بين الأشجار .. يحاول أن يغرس الوتد الخشبى فى صدر مصاص الدماء .. كان يسمع لهاث الرجلين .. أحدهما كان لهاث أبيه الملهوف المذعور .. والآخر لهاث مصاص الدماء الحيوانى الوحشى الملىء بالشهوة وحب الشرّ ..

كان يصرخ .. يتمنى أن يستطيع النزول من مكانه ، لكنه ـ بعجز طفل فى العاشرة من عمره ـ لم يستطع سوى أن يضرب القرميد بمجمع قبضته .. ويضغط على أسنانه أكثر ..

ثم سمع الحشرجة ..

رهيبة كانت .. مروعة كانت ..

وفى الظلام رأى شبحا ينهض مترنحا .. ويتحرك مبتعدا ..

عرف على الفور أن هذا الشبح لم يكن أباه ، وإلا عاد كى ينزله من برج الكنيسة ..


إن الدخان يملأ هواء الحجرة ..
ثم ببطء ينقشع كاشفًا عن (سلويت) رجل .. رجل فارع القامة .

عرف أن أباه صار جثة فارغة من الدماء . تحملق فى السماء بعين خاوية من الفهم .. . وعرف أن (هانسن) قد عاد يواصل رحلته الشريرة ، بحثًا عن الرعب والهلاك ..

لقد وقعت مسئولية قتل مصاص الدماء على عاتق الطفل ذى العشر السنوات .. وقد عرف كيف يقوم بها خير قيام فى ذات يوم بعد عشر سنوات أخرى ..

* * *

لقد دخل الوطواط غرفة (عبير) الآن ..

راح يحوم حول وجهها عدة دورات متصلة .. ثم .. ما هذا الدخان الذى يتكاثف حول هذا الحيوان الثديى المقيت ؟!..

إن الدخان يملأ هواء الحجرة ..

ثم ببطء ينقشع كاشفًا عن (سلويت) رجل ..

رجل فارع القامة . يرتدى حرملة طويلة ترفرف - كجناحى وطواط - فى الريح الغضبى التى تتسلل إلى المكان ..

هو ذا يدنو من الفراش . ببطء ..

* * *

ومنذ ذلك اليوم قتل العديد منهم ..

الوتد ، وقطع الرأس بالفأس ، ثم الصلاة ..

طقوس مارسها مرارًا ..

وفى كل مرة يرى وجه أبيه يبتسم .. ويغمغم :

ـ لا تأخذك بهم شفقة أى بنىّ !

ويشعر الرجل بالرضا .. ويواصل بحثه الذى لا ينتهى عنهم .. ولهذا جاء إلى (رومانيا) ؛ لأنه يعرف ـ أكثر من سواه ـ ما تحويه (رومانيا) .. خاصة ذلك المسخ الذى يسمونه (فلاد الوالاشى) ..

يقول صاحب الخان البدين وهو يجفف عرقه :

ـ إذن فهذا سرّ قلقك يا بارون ؟

الواقع أن هذا ليس السبب الوحيد ..

إن تعامل (فان هلسنج) مع مصاصى الدماء ، قد جعله يكتسب نوعًا ما من الحاسة السادسة تجاه وجودهم .

واليوم هو يشعر بقرب واحد منهم .. يشعر به تحت جلده ..

ولكن لماذا ؟...

* * *

حين فتحت (عبير) عينيها ، كانت أنفاس الكونت (دراكيولا) تلفح عنقها .. أنفاسه الباردة التى لها رائحة الموت ..

لم تكد تتساءل عن الكيفية التى جاء بها ؛ لأنها شعرت بوخزة النابين الحادين يغوصان فى وريدها الودجى ..

قاومت لحظة ، ثم خارت قواها واستسلمت لما سيكون ..

وفى هذه اللحظة انفتح الباب فجأة ..

ودخل البارون (فان هلسنج) ..

* * *

٧ـ التحوّل ..

ـ تحية يا بارون !

هتف (دراكيولا) بهذه العبارة بلهجة من يرى صديقًا قديمًا طال اشتياقه إليه .. ونهض من جوار الفراش ليواجه (فان هلسنج) .

ورأى الأخير خيط الدم ينساب على ذقنه ، فأدرك ما كان دون جهد ..

ـ الكونت (دراكيولا) !..

قالها بصوت كالفحيح وهو يتراجع بظهره خطوتين ..

غمغم الكونت وهو يتقدّم نحوه لاهثًا ، كأنما كان يركض في سباق طويل .. (إن مصّ الدماء منهك كما هو واضح) :

ـ هو بعينه !.. يا له من زمن !.. منذ حاولت قتلي في تلك الليلة فوق ثلوج الترانسفال .. لقد نجوت منك بصعوبة فقط لأغدو أكثر بأسًا وأكثر لياقة ..

ـ إن قتل مصاصي الدماء هو مهنتي ..

ـ لقد صار وقت تقاعدك دانيًا يا بارون ..

وفتح فاه عن آخره ، كاشفًا عن صفين بشعين من الأسنان الحادة كأسنان الضواري .. ومن حلقه صدر فحيح مكتوم ..

تراجع (فان هلسنج) إلى الوراء .. ومدّ يده إلى جيب سترته ، فتناول مسدسًا صغيرًا عتيقًا صوّبه نحو الكونت ..

ـ هذا المسدس محشو يا كونت ..

ـ وهل حسبت لحظة أنني ... ؟

ـ إنه محشو بالرصاص الفضي كما تعلم ، وكما لك أن تتوقع ..

ـ وأنت واثق من مفعوله معي ؟

ـ إذا كان كافيًا لقتل المذءوبين ، فلم لا يصلح معك .. ؟

ـ لا تصدق كل ما تقرؤه يا بارون ..

وابتسم ابتسامة وقحة كريهة ..

وحين فتحت (عبير) عينيها المنهكتين ، كان جسدها أقرب إلى خرقة تم تلميع زجاج نافذة بها .. وشعرت أنها لا تتحكم في أصغر عضلة من عضلاتها ..

لكنها تغلبت على وهنها ؛ لتتمكن من متابعة هذه المحادثة العجيبة ـ التي هي أقرب لحديث سيدين

مهذبين ، منها إلى مواجهة بين مصاص دماء وقاتل مصاصى دماء ..

خطر لها - برغم تشوش ذهنها - أن مصاصى الدماء فى القصص ، يكونون أدنى إلى الرقى وأساليب السادة المهذبين من المذءوبين مثلا .. إن أحدا من الأخيرين لم ينل شرف أن يلقب بـ (كونت) مثلا .. كلهم أشخاص من الحثالة أو من حضيض السلم الطبقى ..

كان (دراكيولا) فى هذه اللحظة يقول لـ (فان هلسنج) :

- سأتركك الآن يا كونت تتساءل عن فعالية سلاحك هذا .. ولكن حذار !.. إن اللقاء القادم لا يحتمل أخطاء !!

وقبل أن يرد البارون ، كان (دراكيولا) قد تلاشى وسط سحابة من دخان أزرق مريب الشكل ..

هل ترون هذا الوطواط الصغير الذى يرفرف خارجًا من النافذة المهشمة ؟.. أراهن على أنه هو (دراكيولا) نفسه !

وهنا سمعت (عبير) فى أروقة ذهنها صوت (شريف) يتردد :

- (عبير) !.. استيقظى سريعا !.. إن (دراكيولا) فى غرفتك الان !.. هل تسمعين ؟.. (عبير) !

.... !

* * *

وهكذا - فى شمس النهار البهيجة - مشى (فان هلسنج) مع (عبير) فى شوارع المدينة ، يتأملان العربات ذات الخيول والمارة ..

كان يثرثر دون انقطاع ، حين أشارت له بيدها أن انتظر قليلاً ..

اتجهت إلى نافذة متجر تنعكس على زجاجها صورة الطريق بما فيه .. هى الآن ترى انعكاس وجهها بوضوح تام ..

حقًا لم تكن (عبير) على شىء من الجمال ، لكنها لم تعهد فى وجهها قط هاته الهالات السمراء حول عينيها وثغرها .. لم تعهد هذا اللون الرمادى الكئيب .. لم تعهد هاتين الشفتين الشاحبتين الميتتين .. أتراه لون الزجاج ذاته ؟.. لا ..

إنها ترى وجه (فان هلسنج) محتفظا بألوانه العادية ..

تملكتها الرجفة .. وتساءلت :

ـ ماذا دهاني يا بارون ؟

ابتلع ريقه .. ثم قال في كياسة :

ـ الحق أنك تفقدين دماءك سريعًا يا آنسة .. ولكن الأمر أخطر من مجرد فقد دماء .. إن (دراكيولا) كان قادرا على أن يستنزف دماءك من أول لحظة ، لكنه للأسف لم يفعل ..

ـ للأسف ؟!

ـ نعم .. إن مصاصي الدماء إما أن يفرغوا دماء ضحيتهم فورا فتموت ــ وهذا لحسن حظها وحظنا ــ وإما أن يفرغوا كميات محدودة على أيام متوالية .. وهذه تجربة مريرة تنتهي بالموت .. أعني : تنتهي بما يبدو لنا موتا .. لكن هذه هي البداية .. إذ سرعان ما يتم التحول إلى مصاص الدم داخل القبر ، وتغادر الضحية عالم الأحياء لتدخل في عالم (اللاموتى) ..

ـ وأنا أمر بالنوع الثاني من المعاملات ؟

ـ بالتأكيد .. لا بد أنك قد رقت له كثيرا .. أو ربما هو يريد أن يجعل مغامرتك في (فانتازيا) مثيرة حقًا ..

ـ اللعنة على هذا النوع من التسلية !

نظر لها .. والتمع التصميم في عينيه الرماديتين المنهكتين .

ـ يجب أن نمنعه من التمادي .. لربما كانت الليلة هي الأخيرة !

ـ بارون (فان هلسنج) .. كيف تجد الوقت الكافي لعمل أي شيء سوى قتل مصاصي الدماء ؟!

ـ أوه !.. إنني أستمتع حقًا بتعليق الأيقونات ودق الأوتاد في صدور مصاصي الدماء وفتح التوابيت .. إن لكل إنسان هواية .. وهوايتي هي نوع من .....

ـ مثل جمع الفراشات ؟!

ـ نعم .. بالضبط !

* * *

حقًا إن هذا الرجل موهوب ..!

شرعت (عبير) ترمق جهود (فان هلسنج) الدءوب في تعليق حزم الثوم .. وتثبيت الصلبان والأيقونات .. ورش الماء المقدس في أرجاء الحجرة ..

ـ ثم ــ بعد أن اطمأن لكل شيء ــ شرع يحشو مسدسه ، وجلس على مقعد جوار الفراش ينتظر ..

اقترب الليل لكن (عبير) لم تنم ..

كيف تنام وهي تعرف ما ينتظرها ؟.. ثم كيف تنام وهناك من يجلس جوار الفراش يراقبها كالصقر ؟!

الثانية عشرة مساء ..

الآن تدرك حقيقة نسيتها منذ البداية :

إن (فان هلسنج) سلحفاة عجوز عاجزة عن السهر .. لقد شرع البارون يهوم برأسه ذات اليمين وذات اليسار ، ثم رأت رأسه يهوى فوق صدره و ...

خ خ خ خ !..

هل توقظه ؟.. حرام !.. يبدو مرهقا ..

ومن المؤسف أنه يعانى من الغطيط فى أثناء النوم ..

ترى هل هو متزوج ؟..

مستحيل أن تتحمل أية امرأة هذا (الموتور) الذى يعمل بالديزل فى غرفة نومها ..

جلست على الفراش وشرعت ترمقه فى غيظ ..

وفجأة سمعت النداء ..

النداء يسرى فى أعماقها ويدعوها إلى مغادرة هذه الغرفة ..

لا تدرى من صاحبه .. لكنها مضطرة لأن تطيع ..

هى تعرف ما سيؤدى إليه هذا .. لكنها عاجزة عن المقاومة ..

فى خفة - حافية القدمين - تثب من الفراش .. تفتح باب الغرفة .. تهبط فى الدرج .. لا أحد بالطابق السفلى ..

تخرج إلى الشارع المظلم إلا من ضوء القمر الفضى البارد ..

تقف هناك ..... وتنتظر ..

ها هو ذا آت من أجلها .. قادما من آخر الشارع ..

قامته الفارعة ، وحرملته السابغة ، والثقة الزائدة بالنفس ..

إنه هو إذن ..

لا جدوى من المقاومة ..

* * *

لم تدر (عبير) سوى بالظلام الدامس يحيطها تمامًا .. ولم تفهم ما كان يمرّ بها إلا مؤخرًا ..

لا تعرف سوى أنها كانت جائعة .. جائعة كوطواط ..

الحاجة إلى الطعام تدفعها دفعًا إلى الخروج والبحث عن شىء يؤكل ..

ولكن لماذا هى ممددة فى هذا الصندوق ؟ ..

لماذا لا توجد نسمة هواء من حولها ؟.. والأغرب هو لماذا لا تختنق ؟..

أسئلة لا جواب عنها .. لكنها - على كل حال - مدت يدها وشرعت تهشم طبقة الخشب فوق رأسها ببطء وثقة .


غريب هذا !.. الظلام يسود المكان .. وعواء الذئاب يتردد من بعيد ..
لكنها غير خائفة ..

ثم . التربة تهوى فوق وجهها .. تملأ عينيها .. تربة رطبة ندية مخلخلة .. تزيحها بأظفارها إلى أن تتمكن من أن تخرج رأسها إلى سطح الأرض ..

غريب هذا !.. الظلام يسود المكان .. وعواء الذئاب يتردد من بعيد . لكنها غير خائفة ..

شعورها كأنها كانت تقف أمام فوهة المسدس . فصارت هى الممسكة به الآن !.. توحدت مع الظلام والذئاب لتصير كلا واحدا .. هذا هو عالمها الذى تعرفه وتفهمه ..

تمشى بين شواهد القبور شاعرة بالألفة .. لم يعد هذا غريبا عنها الآن .. إلى أين ؟..

إلى حيث يوجد الطعام ..

* * *

وكان الطعام هناك..

عابر سبيل ثمل يترنح ويغنى بعض الأغانى السخيفة ..

لو كان قد قابلها منذ يومين لماتت رعبا .. أما الآن فهى تقف فى طريقه .. وتبتسم برقة ..

يتوقف عن السير ويشرق وجهه كاشفا عن أسنان نخرة :

ـ هيه !.. أيتها الحسناء .. إن مثلك لا يجب أن يمشى جوار المقابر .. لماذا لا تأتين معى إلى حيث ..

ثم يتصلب .. تموت الضحكة على شفتيه ..

تموت ، بينما تبعث الضحكة على شفتى (عبير) .. ضحكة لها نابان طويلان وعينان تشتعلان دمًا ..

وفى اللحظة التالية ، تقبض على معصمه بأصابع كأنما هىَ من فولاذ وتجذبه إليها .. وتنقض على عنقه انقضاض الصقر على أرنب وديع غافل .. وتبدأ عملية الامتصاص التى استغرقت عشر دقائق ..

لقد كان كل هذا لذيذًا !

* * *

بينما هى عائدة إلى المقابر ، خطر لها أن (دى ـ جى ـ ٢) يبالغ فى تسليتها حقًا ..

أولاً : جعلها تعيش مع مصاصى الدماء والمذءوبين ..

ثانيا : يحاول الآن جعلها تعيش خبرة أكثر إثارة وأكثر تفردا ..

ما هى مشاعر وأفكار مصاص الدماء ؟.. إن هذا لم يخطر لأحد من قبل .. لكنها الآن تعيش التجربة كاملة ..

من يمكنه أن يشكو من ملل الواقع بعد اليوم ؟..

المهم الآن أن تجد مكانا مظلما ورطبا قبل أن تشرق الشمس .. غزيرة البقاء الوليدة لديها تحفزها على هذا ..

من الحكمة أن تعود إلى المقبرة فى الوقت الحالى إلى أن تجد مكانا أكثر أمنا غدا ..

* * *

فى ذات اللحظات كان (شريف) يعيش أسود لحظات حياته على الإطلاق ..

فمن مكانه خلف شاشة الكمبيوتر ، كان يرى كل هذه التفاصيل المريعة بالتفصيل الممل .. ولم يكن المسكين ممن يطيقون أفلام الرعب .. ولم يكن يعرف عن (دراكيولا) سوى أنه ذلك الشخص الذى يكفى وضع اسمه ضمن عنوان الفيلم ، كى يصير الفيلم ممنوعًا لأقل من ستة عشر عامًا ، ويعزف (شريف) عن مشاهدته ..

أما الآن وهو يرى هذا الكابوس ، فقد قف شعر رأسه منتصبًا وجف ريقه .. إن هذا الذى يراه هو حتمًا جزء من ثقافة هذه الفتاة وخيالها .. ويالها من ثقافة !..

كيف يحب بعض الناس هذه الأشياء الرهيبة ؟..
وكيف يقضى آخرون حياتهم فى تأليف هذه الخيالات المريضة ؟!..

وكان قد أدرك منذ ساعة . أن صوته لا يصل للفتاة أو – على الأقل – لا يصلها فى الوقت المناسب أبدا . لهذا قرر أن يريح ذهنه ويكتفى بالمشاهدة ..

دعها تستمتع بهذا الشىء المقزز ، إذا كانت تستمتع .. لقد أوشك أن يوقف البرنامج عدة مرات كلما رأى خطرا داهما يحيق بها .. لكنها تبدو له مستمتعة بكل هذا ، فلماذا يفسد متعتها هذه ..؟

لكنه ذهب إلى الحمام ذات مرة .. ثم عرج على المطبخ ليعد قدحا من الشاى لنفسه ، وحين عاد إلى الشاشة ، رأى أشياء مريعة حقًا ..

رأى (عبير) تنبش قبرًا لتخرج منه .. وتهيم فى الظلام ، وتمتص دماء عابر سبيل أوقعه حظه العاثر فى طريقها !..

يا لها من تسلية !.. المشكلة أنه صار يشعر بذعر حقيقى من (عبير) الجالسة أمام الشاشة مغمضة العينين ، والأقطاب على رأسها ..

مستحيل أن تكون هذه الفتاة بحال طبيعية كما عرفها

حين تنهض من غفوتها هاد ..
وفى تعاسة ظل يراقب ما يدور على الشاشة ..

* * *

إنه الليل ..
ومن جديد الجوع يمزق أحشاءها ..
تنهض باحثة عن فريسة جديدة . وهى تفكر .. إنها الآن تعرف البرنامج اليومى لمصاصى الدماء ..
النوم حتى العاشرة مساء .. الجولة الليلية .. الافتراس .. العودة إلى النوم فى تمام الرابعة صباحا ..
حياة منتظمة .. يمكن ان تكون رتيبة بعد أعوام .. أما الآن فكل شىء يبدو غريبا طريفا ..
وفى الظلام سمعت خوارا .. فاستدارت لترى ..
رأت رجلاً يهجم عليها .. المشكلة الوحيدة هنا ، هى أن الرجل كان له رأس ذئب .. إنه مذءوب . غريب هذا !.. المفترض أن القمر ليس بدرا .. لكن كل شىء متوقع فى (فانتازيا) ..
لكنها الان لا تخاف المذءوبين .. إنهم بالنسبة لها دعابة سخيفة .. أشبه بالأطفال حين يرتدون أقنعة مخيفة رديئة الصنع ، ويحاولون إفزاعك .. أما هى .. هى الفزع ذاته ..

ودون أن تتكلم أو تنفعل ، وثبت بين ذراعيه المنتهيتين بمخالب وأنشبت أنيابها فى عنقه ..
صرخ المذءوب .. تلوى ألما .. حاول أن يتملص منها . لكنها كانت متعلقة بعنقه كما يتعلق الوطواط مصاص الدماء بساق دابة ..
وفى النهاية خارت قوى الوحش وتهاوى أرضا ..
لم يتوقع مفاجأة كهذه فى حياته المهنية ..
عندما يموت المذءوب يعود إلى طبيعته الآدمية ، والآن تستطيع (عبير) أن ترى وجه ضحيتها الشاحب ..
هذا الوجه ذا الشارب الكث .. والمنديل المحلاوى العملاق الساقط على الأرض جواره .. إنه (سعيد) !.. خطيبها السابق أو الحالى .. لا تدرى بالضبط .. ماذا جاء به إلى (رومانيا) ؟..
متى صار مذءوبًا ؟
أسئلة بلا جواب ..
لكنها سعيدة للغاية بأنها خلصت البشرية من شره ومن حبه للسباكة ..
إن (عبير) ليست مخبولة ولا بلهاء .. وتعرف جيدا أن (دى ـ جى ٢) وجد صورة الرجل الذى تمقته داخل

ذاكرتها ، من ثم جعله مذءوبا يموت على يدها ، لمجرد أن يعطيها لذة كهذه .. أى أن ظهور (سعيد) هو مجرد مجاملة رقيقة من (دى ـ جى ـ ٢) ..
لكنها قد استمتعت بهذه المجاملة أيما استمتاع ..
والآن حان وقت النوم ..
عادت إلى موضع القبر عازمة على الهبوط إليه ..
لكنها وجدت حزمًا من الثوم تغطى التربة كلها ..
ـ من الذى ؟
تساءلت فى وحشية ، ورفعت عينيها لتجد البارون (فان هلسنج) واقفًا جوار شاهد القبر ..
وكان فى يده وتد خشبى مسنون ..

* * *

٨ - الذى يجب أن يموت ..

ـ بارون !.. مرحبا بك .. ادنُ منى أكثر !

هتفت منادية الرجل .. وهالها أن صوتها خرج إلى الفحيح أقرب ..

أما هو فتراجع إلى الوراء وفوجئت به يهتف بصوت صارم :

ـ ابتعدى عنى بحق السماء !

ارتج كيانها كله من عبارته .. لم تدر سر ما أصاب نفسها من عبارة عادية كهذه .. ثم فطنت إلى أنها ـ وقد صارت مصاصة دماء ـ لم تعد تحتمل أية عبارات ذات رمز دينى ..

أصابها الرعب . للمرة الأولى تدرك أى درك قد انحدرت إليه ..

لقد صارت حقًا مصـ .

ـ بارون .. أرجوك أن تساعدنى !

قالتها وانفجرت باكية ..

كان منظرا غير مألوف أن تراها تبكى .. وقد برز ناباها المرو[illegible]ان ، وسال خيط من الدم الجاف على

ذقنها .. الرعب الحزين إذا صح هذا التعبير ..

حزن لا يثير أى شفقة فى النفس من أى نوع ..

لكن (فان هلسنج) كان على استعداد لكى يفهمها ..

لقد أحضر الوتد والمطرقة والفأس ، بغرض القضاء عليها ، فور عودتها من جولتها الليلية ..

كان ـ بعد دفنها ـ يعرف أنها لم تمت حقًا .. إنما هى فى طور التحوّر ، وكأن تابوتها نوع من الشرانق التى تتحول فيها دودة القز إلى فراشة .. بالمثل تتحول هى من إنسان إلى خفاش آدمى ..

لهذا انتظر ثلاثة أيام ، ثم جاء لينهى مهمته الشاقة ، التى لم يحبها قط هذه المرة .. لكنه كان مضطرًا ..

لكنه ـ فى هذه اللحظة ـ يرى أنه من الممكن مساعدة هذه البائسة ..

ولمَ لا ؟..

إن الأوان لم يفت تمامًا .

أمسك بيدها الباردة كالثلج .. وقال فى حزم :

ـ أنا ميّال إلى تصديق هذه الدموع ..

وأخرج مسدسه وصوبه إلى رأسها .. وأردف :

ـ سأفجر رأسك دون تردد برصاصاتى الفضية ، لو حاولت أن تخدعينى .. اسمعينى .. ما زال بإمكانى أن

أساعدك مادمت فى بداية مرحلة التحـول .. بعد يومين سيأتى الكونت (دراكيولا) ليأخذك إلى قلعتـه لتعيشـى هناك أبدا ، وعندئذ تكونين قد خرجت من دائرة الأمل إلى الأبد .. لهذا يجب أن تمنع ذلك وبأسرع وقت ممكن ..

والتمع التصميم فى عينيه :

ـ كونت (دراكيولا) يجب أن يموت !

* * *

قلعة (دراكيولا) من جديد ..

الشمس تعتلى عرش السماء معلنة ملكوت الظهيرة ، ومن بعيد تتحرك بعض قوافل الغجر قاصدة وجهة ما ..

وبين الأشـجار وقـف (فـان هلسـنج) و (عبـير) يرمقان القلعـة التى لم تعد مرعبـة إلى هذا الحد فى ضوء النهار ..

كـانت (عبـير) مدثـرة بالكـامل ـــ حتـى وجههـا وعينيها ـ بثياب سوداء ثقيلة ، تمنع أشعة الشمس مـن الوصول إلى جلدها .. جلد مصاصـة الدماء الحسـاس سريع الاحتراق .. هذه هى الطريقة الوحيدة التى تمكنها مـن رؤيـة النهـار .. ، صحيـح أن النعـاس يقتلهـا ويغالبها ، لكنها تقاومه بإرادة فولاذية ؛ لأنها ـــ حقـا ـــ راغبة فى الخلاص ..

قال لها (فان هلسنج) وهو يقودها بين الأشجار :

ـ الآن ندخل .. فرصتنا الوحيدة لقتل الكونت هـى الان ، بينما هو نائم فى تابوته ، وفـى أوهن حالاتـه .. كل ما أريده منك . هو أن تسـاعدينى علـى تثبيت الوتـد فى صـدره .. هذا لن يكون سـهلا دون عونـك .. فهل تخذليننى ؟

ـ لا .. أعتقد لا ..

وبأناملها تحسست الحقيبة الهائلة التى يحملها .. هى تعرف ما تحويه هذه الحقيبة دون جهد كبير ..

الوتد والمطرقة وزجاجة الماء المقدس والثوم وكتاب الصلوات ..

يحملها هذا الرجل العجيب فى استمتاع ، كأنـه ذاهب للعب التنس فى النادى ..

إن (عُدّة مصاصى الدماء) هذه ، صارت مألوفة لهـا كما يحمل السبّاك عُدّته ويحمل الكهربائى عُدّته ..

معًا يقتربان أكثر فأكثر من القلعة .. أعنى ـ بالطبع ـ أنه هـو مـن كـان يقترب .. فالفتـاة لا تـرى شـيئا خلـف الحجب الثقيلة المسدلة على عينيها ووجهها كما قلنـا آنفا .

سمعت صريـر البـاب إذ ينفتح ببطء .. وعرفت أنه

غير موصد من الداخل .. غريب هذا .. كأنما ترك الكونت الباب مفتوحا لغرض فى نفس (يعقوب) .. لكنها ابتلعت هذا الخاطر ولم تفض به للبارون ما دام يعرف ما ينبغى عمله ..

إنهما فى الداخل الآن .. تسمع الباب يوصد .. ثم يقول لها البارون فى صوت كالفحيح :

ـ انزعى الغطاء الآن لترى ..

تنزع الغطاء .. فترى ذات القاعة والمائدة العملاقة والمدفأة ..

كل شىء كما هو بستائره السوداء الممزقة .. وخيوط العنكبوت ..

وعلى الجدار يتراقص بندول ساعة حائط ، معلنًا أنها الخامسة عصرًا ..

لماذا جرى الوقت بهذه السرعة ؟

ثم تذكرت أن النهار يكون سريعًا جدًا فى قصص (دراكيولا) .. الليل يحل بسرعة جنونية ، ثم يجثم كالكابوس على النفوس كأنه أبدى .. لأن الأحداث المثيرة تحدث فى الليل فقط .

قال لها (فان هلسنج) وهو يخرج محتويات حقيبته :

ـ مازالت ثلاث ساعات تفصلنا عن الظلام .. إن قتل (دراكيولا) لا يستغرق سوى دقيقة .. المهم هو أن نجده أولا ..

وفجأة تصلب ونظر إلى ركن القاعة المظلم .. وهتف :

ـ هناك شخص يتحرك !!

* * *

أخرج مسدسه وصوبه نحو الظل المتحرك القادم من أعماق الظلام .. وفى لهجة منذرة صاح :

ـ أيًا ما كنت .. إن هذا المسدس محشو برصاصات الفضة .. أى أنه قادر على قتل البشر والأشباح سواء !

صوت سعلة وكثير جدًا من الدخان .. ثم رأيا رجلاً ناحلاً زال شعر رأسه من مقدمته .. يرتدى ثيابًا عصرية بالنسبة لـ (عبير) ، ومنظارًا سميكًا ..

تقدم الرجل منهما وهز ذراعه محييًا :

ـ تحية لكما ..

ثم رما لفافة التبغ التى كانت تصدر كل هذا الدخان على الأرض .. وتناول (جاكت) بذلة ملقى على المائدة فارتداه ..

هتفت (عبير) وهى ترى ملامحه المألوفة لها :



ثم رأيا رجلاً ناحلاً زال شعر رأسه من مقدمته ـ يرتدى ثيابًا عصرية بالنسبة لـ (عبير) ..

ـ هل .. هل أنت د . (رفعت إسماعيل) ؟

ـ للأسف أنا هو يا آنسة .. معذرة على مقاطعة مغامرتكما .. فقد كانت لى مغامرتى الخاصة هنا ..

فى حنق صاح (فان هلسنج) :

ـ المفترض ـ حسب البرنامج ـ أن يكون القصر خاليًا .. كانت لديك الفرصة للقيام بما تريد أمس بطوله .. إن وقتى ضيق كما تعلم ..

هز (رفعت) يده فى رزانة .. وغمغم :

ـ حسن .. معذرة على سهوى .. حدث خلط فى المواعيد ـ لا عليك ـ لسوف أترك لكما المكان بأكمله .. بالمناسبة : إن (دراكيولا) ينام فى تابوت بالطابق الثانى .. ثالث غرفة على اليسار .. حظًا سعيدًا . وأسرعا لأن الليل قد اقترب ..

واتجه لباب القلعة .. فما إن فتحه حتى صاحت (عبير) :

ـ أية مغامرة تقوم بها الآن يا د . (رفعت) ؟!

ـ أسطورة دماء (دراكيولا) .. والآن وداعنا يا صغيرتى ..

وانغلق الباب وراءه ..

ـ هؤلاء الهواة السخفاء .. ينبغى صدور قرار

بمنعهم من التدخل فى أعمال المحترفين .. إنهم يزيدون الحياة سوءًا !

كذا هتف (فان هلسنج) مشمئزًا ، وهو ينظر فى اتجاه (رفعت) .. ثم دعا الفتاة المبهورة كى تصحبه إلى الطابق الثانى .

ولم ينس أن يخرج مشعلاً من حقيبته يوقده بعود ثقاب ..

فلابد أن الظلام دامس هناك ..

ومعًا شرعا يصعدان فى درجات السلم الخشبية ..

ببطء .. ببطء ..

إنهما الآن عند الدرجة السادسة ... و ... كريييك !.. كراش ! .

لقد تهشمت الدرجة من تحت أقدامهما ..

شعرا بأنهما يهويان فى الظلام للحظة ..

ثم فتحا عينيهما ، فوجدا أنهما راقدان على أرض ترابية فى مكان حالك الظلمة ..

أشعل (فان هلسنج) المشعل وهو بعد على حاله من السقوط ..

وعلى ضوء اللهب المتراقص ، عرفا أنهما فى قبو ضيق صغير . كان أسفل درجات السلم المهشمة ، التى صارت الآن فوق رأسيهما ..

فى ركن القبو كانت هناك عظام آدمية بالية ، وفأر أو فأران يهرعان فارين من ضوء المشعل الذى لم يريا مثله من قبل ..

ـ لا بأس ..

هتفت (عبير) وهى تنهض وتنفض التراب عن ثيابها .. وأردفت :

ـ دعنا نصعد إلى السطح ثانية ونجد الكونت ..

ابتسم (فان هلسنج) ابتسامة مريرة .. وغمغم :

ـ هذا عسير يا ملاكى .. أعتقد أننى قد كسرت ساقى حين سقطت فى هذه الحفرة .. ألم تلاحظى ذلك بعد ؟!

.... !

* * *

٩-المـــأزق..

فى قلق تساءلت (عبير) عن معنى هذا .. وفى توتر أجابها البارون أن معنى هذا أنهما مكبلان ها هنا .. فى هلع سألته عما هما فاعلان .. وفى ضيق أخبرها أنهما لن يفعلا شيئا .

ثم نظر لها نظرة ذات معنى .. وقال :

ـ من الواضح أن المسئولية ستقع عليكِ أنتِ !

ـ أية مسئولية ؟

ـ مسئولية قتل الكونت طبعا ..

وشرع يشرح لها ما ستقوم به بعد مغادرة هذا القبو ..

أولاً : العثور على التابوت ..

ثانيا : فتحه ..

ثالثا : غرس الوتد الخشبى فى قلب مصاص الدماء النائم ، باستعمال المطرقة ..

رابعا : تلاوة صلاة قصيرة ..

خامسا : قطع الرأس بالفأس وحشو الفم بالثوم ..

ـ يا للهول !.. أتظننى قادرة على عمل هذا كله ؟..

ـ أنا نفسى كنت سأمارس معك ذات الطقوس أمس لو لم تفعلى ، لصرت مصاصة دماء للأبد .. ولجاء من يفعل معك ذات الشىء يوما ما ..

ـ لكن .. أعصابى لا ...

ـ (عبير) !.. أنا أريد أن تفعلى هذا ..

وهكذا وجدت (عبير) نفسها تحاول التسلق إلى أعلى القبو .. كان الارتفاع منخفضا ، لكنها لاقت أيما عسر فى محاولاتها هذه ، خاصة والحقيبة الثقيلة متدلية من ذراعها ..

وأمكنها أن تفهم سر حماس (فان هلسنج) .. فهو إلى حدّ ما غير مرتاح إلى البقاء معها فى القبو حين يسود الظلام ..

لمَ لا ؟.. ألم يرها أمس عائدة والدم الجاف على شفتيها ؟

ألم ير نابيها الحادين ، اللذين تحاول ألا تظهرهما الآن ، عن طريق الكلام بفم مطبق ؟

لقد تمكن من التعامل معها بسهولة .. ولكن ألم يكن ذلك لأنها لم تكن جائعة بعد وجبة أمس ؟..

كيف سيكون الحال حين يحلّ الظلام ، ويعود إليها الجوع الحيوانى الذى لا يشبع ؟

إنها لا تلومه . بل هى ذاتها لا تدرى فى الواقع ما قد ترتكبه إذا حل الظلام ، وشعرت بالحاجة إلى الدماء الساخنة تصحو فى جوفها ..

وأخيرا استطاعت أن تصل إلى الفتحة ، وتمر بجسدها النحيل من خلالها .. ونظرت له حيث رقد أسفلها ..

كان ينظر إلى ساعة جيب أخرجها من صداره على ضوء المشعل ..

سألته (عبير) وقد ثنت جسدها فوق درجات السلم :

- كم بقى من الوقت ؟

رفع وجهه نحوها ، وأدركت أنه يخفى قلقه ..

قال لها محاولاً الابتسام :

- بقى ما يكفى .. ولكن لا تتلكئى أرجوك !

إذن .. فالوقت لم يعد كافيا ..

* * *

ضوء الغروب الأرجوانى ينساب من نافذة قديمة تهشم مصراعها ..

و (عبير) تحبس أنفاسها وتصعد فى الدرجات اثنتين .. اثنتين ..

هى نفسها تشعر بأن قواها تزداد ، وعزيمتها تقوى ..

لكنها فى الوقت ذاته صارت أقل رغبة فى إنهاء مهمتها ..

إن السبب واضح طبعا ..

هى نفسها قد بدأت تكتمل كمصاصة دماء .. وصارت أقرب إلى أن تهبط إلى (فان هلسنج) فى القبو لتمتص دمه ، من أن تقتل سيدها والمسئول عن تحولها هذا ..

لكنها واصلت الصعود ..

ترى ماذا قال هذا المأفون (رفعت اسماعيل) ؟ .. الطابق الثانى .. رابع غرفة على اليسار .. أم لعلها الثالثة ؟..

أعتقد أنه قال الرابعة ..

بالتأكيد هو كذلك ..

* * *

فتحت الغرفة ملهوفة ..

رائحة العطن تفعم المكان .. وعلى السقف تحرك خفاشان متدليان ، أثارت هذه الضوضاء ضيقهما ..

تهرع إلى النافذة فتفتحها .. ضوء الغروب الدامى ينسل ليغمر أرجاء الغرفة بذلك اللون الذى لا يوصف ..

كانت هناك ثلاثة توابيت محكمة الإغلاق .. ترى أيها ؟.

اتجهت إلى الأول واستجمعت شجاعتها ، فأزاحت

الغطاء . ثم شهقت ووثبت مترا إلى الوراء ..
كان فارغا ...
الضوء يبرد ببطء متجها إلى نطاق الأزرق ..
اتجهت إلى التابوت الثانى وفتحته .. وفى الضوء الأزرق رأت فتاة نائمة .. فتاة شاحبة يبرز نابان من فمها ضاغطين على شفتها السفلى .. كأنما شيطان يحلم ...
لم يكن ثمة وقت تضيعه فى تأمل تلك الفتاة ..
اتجهت إلى التابوت الثالث ، وأزاحت الغطاء الثقيل ..
كان فارغا ...
إذن كان الكونت فى الحجرة الثالثة .. لعنت ضعف ذاكرتها .. وهرعت خارجة من الحجرة ..

* * *

لقد صارت مذعورة .. خائفة ..
لكن الذعر لن يجدى .. وهذا الكابوس لن ينتهى إلا حين ينتهى ..
يجب أن تظل فى مقعدها بالسينما حتى يعود خالها !.. هكذا تعلمت منذ أعوام طوال ..
يجب أن تستمر فى هذه المسرحية وإلا .. يبدو أنها توشك على الموت ذعرا .. قلبها الشاب يوشك على

التوقف .. وهى تذكر جيدا كلمات (شريف) :
« لو حدث أن هلكت فى أثناء الحلم . ستهلكين فى الواقع فى ذات اللحظة !!
لماذا ؟.. لأن النظام الطرفى يسيطر على النخاع المستطيل .. و ... لم تفهم حرفا .. لكن المعنى العام للكلام مفهوم ...

* * *

الغرفة الثالثة بها تابوت واحد فاخر الشكل ..
يبدو جديرا ومناسبا لسيد الدياجير ..
أزاحت غطاء التابوت .. يا لثقله !.. هيا !.. أسرعى !.. يجب أن تتمكنى من إزاحته قبل أن ...
للأسف صار الظلام هو الملك .. وبصعوبة يمكنك أن ترى تفاصيل التابوت وما فيه .. لكن الفرصة لم تضع بعد ..
هو ذا الكونت (دراكيولا) يرقد فى التابوت . وقد عقد ذراعاه على صدره ، وعلى شفتيه ابتسامة واهنة شريرة ..
أخرجت الوتد الخشبى من جعبتها .. ثم المطرقة ..
وبيد مرتجفة ثبتت الطرف المدبب على قلب الرجل ..
ترى هل تستطيع ذلك ؟.. لابد .. لا يوجد مخرج آخر ...

رفعت المطرقة واستعدت لتهوى بها ..
كان ذلك حين فتحت الجثة الراقدة عينيها ..

* * *

إن هذا العواء هو غناء أبناء الليل .. ما أعذب موسيقاهم !

* * *

بعين قلقة ، راقب (شريف) التوترات السريعة التى تمرّ بجسد (عبير) ، الجالس أمام شاشة الكمبيوتر والأقطاب على رأسه ..

كان رأسها يهوّم يمينا ويسارا .. وشفتاها ترتجفان .. وثمة خيط من اللعاب يسيل من ثغرها إلى صدرها ..

لم يكن ذا خبرة طبية ، لكنه مدّ يده وتحسس معصمها .. إن النبض بطيء جدًا .. وهذا ـ على قدر علمه ـ يعنى أن هناك صدمة عصبية تمرّ بها الفتاة ..

هل يوقف البرنامج ؟.. إنه لا يضمن نتائج تصرف كهذا قد يكون هو الخرق بعينه .. ليدعه يستمر إذن ..

وليحقن الفتاة فى معصمها بحقنة (أتروبين) . فهو يعرف أن هذا كفيل بالقضاء على الصدمة ، أو ـ بمعنى أدق ـ حماية القلب من أثرها ..

لحسن الحظ أن عنده صيدلية لا بأس بها .. وخبرة معقولة فى إعطاء الحقن الوريدية .. ولكن ليسرع ..
ها هى ذى الإبرة ..

* * *

شعرت (عبير) بالعضة فى معصمها ، فصرخت وتراجعت للوراء ..

لقد تأخرت كثيرا إلى أن نهض الكابوس ..

لماذا يحرق الشعور بالظمأ جوفها ؟.. لماذا تشعر أن الدم يتسارع إلى وجنتيها ؟ (هى لا تعرف أن هذا هو تأثير الأتروبين) ..

(دراكيولا) ينهض من التابوت ..

طويلاً مهيبًا مريعًا .. يتقدم نحوها ببطء .. هى تتراجع إلى الوراء والوتد فى يدها ..

قال سيد الدياجير وهو يرخى عباءته على كتفيه :

ـ إذن تحاولين قتلى !.. تحاولين قتل من جعلك جاريته الأثيرة .. الذى اختار لك الخلود ..

ثم ابتسم ابتسامته الكريهة المقيتة :

ـ أين (فان هلسنج) ؟.. إنه هو من أغراك بهذا العمل الأخرق .. أليس كذلك ؟!.. أين هو ؟

ولما رآها خرساء كالأسماك لا تفعل شيئا سوى الرجفة ، قال :

ـ حسن .. إنه فى القلعة .. أعرف هذا وأشعر به .. ولسوف أجده أولا .. بعدها أعنى بك !

وبيد كأنها كلابات حديدية جذبها .. وساقها متجها نحو الباب ..

* * *

فى ذات اللحظة تقريبا كان (شريف) يتأمل على شاشة الكمبيوتر ذلك المأزق الذى تواجهه (عبير) حينما سقطت مع (فان هلسنج) فى القبو المظلم ..

أدرك أنها تواجه مأزقا مريعا .. ولم يكن يدرى أبعاد هذا المأزق ، ولن يدركها إلا بعد خمس دقائق أخرى ..

هل يوقظ الفتاة ؟.. مرة أخرى هو لا يجرؤ .. لربما كانت صدمة شبيهة بصدمة إيقاظ الماشى فى أثناء نومه .. يحتاج إلى أن تكون أكثر هدوءا واستقرارا ليوقظها ..

ربما كان هناك حل ..

إن كل كوابيس مصاصى الدماء تنتهى فى أشعة الشمس ..

وهو يعرف أن ما تراه (عبير) يتم فى وقت الغروب .. إذن فيقدم لها شمسا .. شمسا دفيئة بهيجة تقتل أوهامها قتلا ..

إنها العاشرة صباحا فى دنيا الواقع ..

فتح النافذة فانسل منها شعاع الشمس الدافىء الجميل ليفترش أرض الحجرة .. لكن هذا لا يكفى ..

هرع إلى الحمام فأحضر مرآة الحلاقة .. وشرع يعكس بها أشعة الشمس لتسقط على وجه (عبير) الغافية ..

وصاح محاولاً تنبيهها :

ـ إنها الشمس يا (عبير) ..!.. الشمس !.. هل تشعرين بها ؟..

ها هى ذى تلمس بشرتك .. تلمس جفنيك .. صلاة صامتة تصليها بشرتك لخالق هذا النور .. هل تشعرين ؟.. إنها تحرق .. الدم يحتشد فى جلدك .. أنت تشعرين بها الآن .. إنه النهار !

* * *

بالفعل ..

شعاع الشمس يخترق أستار النافذة الممزقة ..

أجفل (دراكيولا) وترك معصم (عبير) ، وأشاح بوجهه بعيدا .. ومن بين أنيابه هتف :

ـ يا للشيطان !.. شمس فى الليل ؟!

لكن (عبير) كانت قادرة على الفهم .. إنها فى

(فانتازيا) حيث كل شيء ممكن .. إنها تشعر بجلدها يتسلخ ويحترق هى الأخرى ، لكنها تراجعت إلى الوراء .. وثبت نحو النافذة وفتحتها على مصراعيها ومزقت الستائر السوداء ..

صرخ (دراكيولا) أشنع صرخة سمعتها فى حياتها ..

راح يتحسس طريقه نحو الباب ، مغطيا وجهه بعباءته .. لكنها جرت وأغلقت الباب قبل أن يصل إليه .. هو ذا عاجز عن الوصول إلى المقبض ..

يحاول العودة إلى التابوت ..

فتحت حقيبتها وأخرجت حزمة من الثوم ، وألقت بها داخل التابوت المفتوح .. لتمنعه من دخوله ..

أطلق زئيرا كزئير الضوارى وشرع يتلوى ...

مريع من مشهد الموت هذا ..

كأنه وحش كاسر يتألم .. والويل لمن يقف فى طريق ألمه ..

ـ سيكون انتقامى مر و .....

قالها وهو يغطى وجهه ..

لكنها الآن تدرك أن الدخان يتصاعد منه .. وأنه يحترق .. تراه يتفحم ببطء أمام عينيها ..



وثبت نحو النافذة وفتحتها على مصراعيها ومزقت الستائر السوداء ..

هى أيضا تحترق .. ليس مثله لكن الدخان ينبعث ببطء من مسامها ، وبشرتها تلسعها كأن مئات الدبابيس غرست فيها ..

هرعت إلى الباب . وقد أدركت أنه لن يستطيع اللحاق بها إلى هناك .. روح الشر .. روح الشر تحترق ..

المهم الان أن تهبط لتخبر (فان هلسنج) بالأمر .. ثم ...

إنها تشعر بأن بشرتها تتحسن .. إنها أفضل حالا ..

هذا طبيعى .. لقد مات (دراكيولا) وتحررت من ربقته للأبد ..

فلتجر إذن وتخبر (فان هلسنج) بكل شىء ..

ثمة شخص ينتظرها فى الممر ..!.. ألن ينتهى هذا الكابوس ؟..

دنت منه أكثر وهى تستعد للمقاومة .. فإذا به (المرشد) !..

ببذلته السوداء . والقلم ذى (السوستة) ينتظرها .. وعلى وجهه ابتسامة ماكرة .. وقفت أمامه تلهث .. تريد أن تقول شيئا . لكنها لاتقدر .. قال لها ليوفر عليها العناء :

ـ تحية يا آنسة !.. يالها من فوضى !.. أعتقد أن

مغامرتك كانت شيقة ... !

قالت لاهثة وهى تعب أطنانا من الهواء :

ـ لقد قتـ .. قتلته .. الشمس .. احترق تماما .. قتـ ..

ـ نعم .. نعم .. تك تتك !.. والآن هيا بنا .. فقد حان وقت العودة ..

أراحت رأسها على الجدار خلفها .. وهتفت :

ـ لكن البارون (فان هلسنج) .. إنه فى القبو .. مكسـ .. مكسور القدم .. لابد .. أن .....

ابتسم مهدئا إياها .. وتأبط ذراعها برفق :

ـ أعرف هذا كله .. ولكن دعك منه .. لسوف يعرف كيف يتصرف .. والآن هلا رحلنا ؟ .

ـ والـ .. الكونت ؟

قال فى لامبالاة وهو يلوك شيئا فى فمه :

ـ آه ! .. إن هذا الوغد سيعود حتما !

ـ كيف ؟.. لقد احترق تماما ..

ـ دائما ما يكون هناك شىء ما .. خاتمه .. قلادته .. لا بد من نقطة يبدأ العودة منها كما تعلمين ، وإلا أفلست ستديوهات (هامر) البريطانية(*) ..

(*) اشتهرت استوديوهات (هامر) البريطانية بأطول سلسلة من أفلام (دراكيولا) رخيصة التكاليف ، وكان يقوم ببطولتها غالبا (كريستوفرلى) مع (بيتر كوشنج)

أثارت غيظها تلك اللامبالاة التى يتعامل بها .. إنه مجرد موظف حكومى يتقاضى مرتبنا من إدارة (فانتازيا) ، ويريد إنهاء هذه (الشغلانة) سريعا :. لكنها لم تجد بدًا من الرحيل معه ..

معا خرجا من القصر المشئوم . وضوء النهار البهيج يغمر العالم بألف حلم وألف أمل ..

ومن بعيد رأت قطار (فانتازيا) قادمًا ..

ـ هل سأركب معك من جديد ؟

ـ ليس فى هذه المرة يا (عبير) .. هناك مرات قادمة لاحصر لها .. والآن .....

وحين نظرت إلى قدميها ، أدركت أن ثياب (مصاصي الدماء) إياها الممزقة المغبرة قد تلاشت .. وعادت فى ثياب القرن العشرين التى جاءت بها ..

وحين رفعت عينيها رأت شاشة الكمبيوتر أمامها ..

ورأت وجه (شريف) يبتسم ..

* * *

خاتمة :.

لم تستغرق الرحلة سوى ساعة بالنسبة لمقاييس الواقع ..

لكنها ـ فى عالم الخيال ـ استغرقت أسبوعا أو أقل قليلا ، وهو شىء لم تستطع (عبير) فهمه .. لكن (شريف) قال لها :

ـ فى قصة ـ كثلاثية (نجيب محفوظ) ـ تقرئين وتعيشين أحداثا مدتها أربعون عامًا .. لكنك تطالعينها فى أسبوع أو أقل ، إذا ما كنت سريعة القراءة .. ، هذه ى نسبية الخيال ..

ـ « فهمت » ..

لكنها فى الواقع لم تفهم شيئا على الإطلاق .. ولم عنها أن تفهم ..

كفاها أنها تهيم حبًا بـ (فانتازيا) أرض الأحلام الساحرة .

قال لها (شريف) وهو يناولها زجاجة مياه غازية :

ـ اشربى هذه .. إن (الأتروبين) يسبب ظمأ شديدا .. لقد كاد قلبك يتوقف حقيقة لا خيالاً ..

تناولت الزجاجة ومسحت فوهتها بمنديلها الورقى كعادتها .. ثم غمغمت وهى ترمق الأفق من النافذة المفتوحة :

ـ غريب أنك نجحت فى أن تجعل الشمس تشرق فى حلمى ..

ـ هذا منطقى .. كثيرة هى المؤثرات التى نقحمها فى أحلامنا . لأن العقل الباطن لا يجد وقتا لتحليلها .. حلمت وأنا طفل أننى طيار شجاع يقود طائرة نفاثة .. ثم .. سقطت الطائرة فى المحيط .. وشعرت ببرودة الماء تحيطنى .. واستيقظت فزعا ..

ـ ثم ماذا ؟

احمرت أذناه خجلاً .. وغمغم :

ـ صحوت لأجد الفراش مبللا .. لم يجد عقلى الباطن تفسيرًا للإحساس بالبلل سوى أن يقحمه فى الحلم !

ضحكت ثم كتمت ضحكتها بالمنديل الورقى .. لابد أن مياه المحيط كانت دافئة إذن !.. لكنها لن تقول هذا التعليق ..

لمدة ساعتين جلسا يشاهدان عرضا سريعا لذلك الكابوس الذى عاشته .. للمرة الأولى ترى كابوسا كاملا مفصلاً على الشاشة .. والجديد هنا أن أحدا لم يوقظها ..

لا (شريف) ولا (المرشد) ..

الآن حان وقت العودة إلى الواقع الكئيب ..

ـ سأعود لدارى بعد أن أمرّ على الخياطة سريعا ..

ـ وبماذا تفسرين هذه الساعات الثلاث ؟

ـ سأقول إننى قابلت (دراكيولا) على باب الخياطة !

ثم وضعت زجاجة المياه الفازية .. ونهضت :

ـ أشكرك على كل شيء .. ستكون هذه المغامرة هى بنزين حياتى حتى .....

ـ حتى ماذا ؟

ـ حتى المرة القادمة !

ـ لن تكون هناك مرة قادمة .. ألم قل لك هذا مرارًا ؟!

* * *

لكننا نعرف أن هناك مرة قادمة .. بل مرات قادمة ..

لقد صارت (عبير) ضيفة دائمة فى (فانتازيا) ، و (شريف) يعرف أكثر من غيره أنها تنتمى لهناك أكثر مما تنتمى لعالمنا .

ليس له الحق فى منعها من زيارة عالمها الحقيقى ..

وفى القصة القادمة سيدرك عجزه عن منعها أكثر فأكثر ..

ولسـوف تقـابل (عبـير) رجـلاً يدعـى بـالعميل (٠٠٧) .. وهو اسم قد يكون مألوفًا لبعضنا .. أمـا الاسم الذى نعرفه جميعًا فهو (بونـد) .. (جيمس بوند) ..

* * *

[تمت بحمد الله]

فانتازيا

مغامرات ممتعة
من أرض الخيال

روايات
مصرية للجيب

حكايات من والاشيا

يقولون فى الأساطير الرومانية إن هناك ثغرة يمرُّ عبرها مصاصو الدماء والمذءوبون ، من عالمهم الرهيب إلى عالمنا .. وبالتحديد فى إقليم (والاشيا) . وفى (داشيا) . وفى (مولدافيا) .. هكذا يزعمون .. ولم تكن (عبير) تعرف شيئًا من هذا كله حين دخلت قلعة (فلاد) الذى يعرفه العالم باسم الكونت (دراكيولا) .. فماذا رأت وماذا سمعت ؟!


د. أحمد خالد توفيق

الثمن فى مصر ١٥٠ قرشًا
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع